الجمهورية الجزائـــرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامعـــــــة وهـــــــران

كلية الآداب، اللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات موسومة:

تجليات نحو النص عند عبد القاهر الجرجاني

مشروع اللسانيات بإشراف الدكتور محمد مليانـي

د.برونة محمد	رئيسا
د.مليانـي محمد	مشرفا ومقررا
د.قلايلية العربي	مناقشا
د.عمار مصطفاوي	مناقشا

إعداد الطالب: معمر عفاس

الأستاذ المشرف: د. محمد مليانـي

السنة الجامعية: 2011-2012

شـــكـــــر

إلى أستاذي المشرف الدكتور "محمد مليايني" أحمل باقة حبّ فأقول:

إليك وحدك أشكو شكري *** فردّ جودك برفع ستري

إليك وسع صدري وحبري *** إليك سهر بحشـــي يجري

إليك أستـــاذي أحمـــل ودا *** ملّكته فؤادي دون قهـــر

الإهـــــداء

إلى من فتحت عيناي أول مرّة، ففتّحت عيناها ترعاني وترقبني

إلى المرحوم والدي، الذي تحمّل المشقّات لكي أسعد، أدعو له بالرّحمة والشّكر اللّذان غطاني بهما طول مساري الدراسي.

إلى شريكة حياتي التي تحمّلت نعرات طالب باحث يطرى ويتصلّب .

إلى أبنائي أهدي هذا الجهد المتواضع راجيا من المولى العليّ القدير أن يكون بداية لمن يريدها و مشكلة بحث جديدة.

إلى أستاذي الفاضل الذي تحمّل هفواتي وردّها عليّ باليسر،

إلى قدوتي وضياء دربي الذي أرشدني إلى ترك ما يترك وحمل ما يحمل قدر المستطاع، أهدي عملي المتواضع.

إلى أساتذتي الذين غرفت طوال مسيرة بحثي عنهم،

إلى الأستاذ دحمان نور الدين أخي وصديقي أشكر له حسن مرافقتي طوال مسيرة بحثي، كما أدعو له بالتوفيق والنجاح في مسيرته العلمية.

إلى الأستاذ منصور قاسم و صديقه إبراهيم إميمون أهدي هذا العمل المتواضع، مع تمنياتي لهم السعادة والعافية.

إلى زملائي وزميلاتي الذين رافقوني بالنصح، بالسؤال، بكل صدق

إلى كلّ من يكن لي ولو ذرة حبّ أهدي عملي وما الشكر إلا لله وحده، الذي منحني الصحة والعافية وراحة البال ... والله الموفق

مقدمة

مـقـدمـــة

تظهر أهمية دراسة القضايا التراثية، من خلال الاهتمام الكبير الذي أولاه المهتمون ببحثها وتسليط الضوء على بعض خفاياها. ومن بين المواضيع التي أثيرت حولها النقاشات وتشعّبت مراجع طرحها، لاختلاف مرجعيات التشبّع الإبستمولوجي لأصحابها، المسائل اللغوية التي تصبّ في اللسانيات العربية، والتي يعتبر علم النحو من بين قواعدها ومرتكزاتها، ذلك لما له من صلة قوية في تركيز المعنى واستنباطه، حيث ارتبطت الدراسة في البداية بالجملة لتتعدّى فيما بعد إطارها الملفوظي المعياري المحكوم بظاهرة الاطراد، إلى خوض البحث فيما فوق الجملة؛ فكان النّص الهدف الأسمى المقصود لتعدّد ظواهره الشكلية والمضمونية.

هذه النقلة المهمة التي رصدتها الكتب اللغوية العربية كانت محل انشغالنا، لما لها من قوة في التوجيه المعرفي الذي عرفته اللسانيات العربية.

من منطلق هذه الأهمية حول موضوع التحوّلات المرصودة، نحاول بحث المسألة من خلال ما أثير من تساؤلات كثيرة تجسّدت في كتابات يصعب حصرها والإتيان على آخرها. رغم هذا تبقى بعض نتائج البحوث المقدمة تحتاج إلى بعض التنوير، كما أنّ الفصل فيها يبقى بنسب متفاوتة يحتاج إلى تسليط أضواء أخرى للكشف عن بعض الزوايا الخفيّة فيها.

كانت وقفتنا مع تراثنا العربي في كتاب دلائل الإعجاز "لعبد القاهر الجرجاني "في ضوء بعض الدراسات التي جاء بها الغربيون في نفس إطار بحث مسائل الجملة و النص.

وشكّل ما خلفه الأسلاف محطة هامة في هذا البحث، وبخاصة جهود عبد القاهر الجرجاني من خلال دلائله في ضوء ما توصلت إليه الدراسات الغربية في مجال الجملة والنص على حد سواء.

ونظرا للتقارب – وفي بعض الأحيان التطابق- على مستوى المصطلحات والمواضيع ومعالجتها بين المدرستين العربية والغربية، ورغم التباعد الزمني بينهما واختلاف مرجعياتهما الفكرية والمعرفية، إلا أنني عزمت من خلال هذه المذكرة دراسة مسألة ذات أهمية جليلة، وهي العودة إلى التراث ومحاولة استنطاق بعض معايير نحو النّص المتضمّنة فيه، والمثبتة عن طريـــق الغربيين أنفسهم. هذه الظواهر استوقفتني من خلال إشكالية البحث التالية:

باعتبار النّص كيانا تفاعليا لأحداث مستمرة سواء عن طريق المنطوق أو المكتوب من الخطابات، هدفه تحقيق أسمى غاية، هي إحداث التواصل اللساني لبلوغ المقصدية بين الباث والمتلقي، وذلك من منطلق أنّ النّص بتفاعلاته وتعقيداته يحتاج إلى ميكانيزمات ترتبط بمجموعة من الأبعاد تنتظم بنيته الداخلية والخارجية، لتحقيق التواصل المبتغى منه. وبالتالي لا يمكن ولوج مضامينه دونها، حيث

يعتبر النّحو أهم أسسها اللسانية، الأمر الذي جعل محور إشكالية البحث تصبّ في إطار الإجابة عن مجموعة من التساؤلات:

هل تمكّنت المدرسة التراثية من تخطّى النّظرة الأحادية التي طالما لازمت النّحاة العرب بدءا من سيبويه؛ والتي تأسّست حول اعتبار "الجملة النحوية" أقصى ما يمكن للمتكلم من إنجازه في إطار التواصل اللساني؟

وهل تعتبر "الجملة" المعيار الأوحد الذي يهتدي به، ولا يمكن الخروج عن قواعده، وهل هناك من التراثيين من لم يتحمّل التوقف عند هذا الالتزام المعياري بخصوص قداسة مسألة عدم الخوض إلاّ في إطار الجملة؟

وهل يمكن أن يكون عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه "دلائل الإعجاز" عَلَماً على مدرسة نصية عربية تلتقي في أسسها ومفاهيمها مع أكثر الإسهامات اللسانية النصية حداثة ومعاصرة؟

من خلال تفحّص كتاب الدلائل يمكن تلمّس التقاطع بين كثير مما أورده "عبد القاهر الجرجاني" وما جاء به تيون فان دايك (Van Dijk) مؤسس نحو النّص في باب الاستعمال الفني والعلمي للمصطلحات؛ فهل وردت على سبيل تناص فكري بين البشر أم كانت نتيجة تأثر معرفي أو مرده إلى تقارب خصائص اللغة في الأصل؟

وهل استطاعت المدرسة الغربية أن تلبّي حاجة الباحث في ميدان نحو النّص، رغم تعقّد النّصوص واختلاف مذاهب أصحابها، وهل تمكّن فان دايك (Van Dijk) وأمثاله من تحقيق كلّ معاني الأدوات والآليات النّحوية المتحكّمة في الثبت الإعرابي (الإباني) والدلالي وكذا التداولي للنّص من خلال المعايير التي اعتمدوها للوصول إلى المقصدية النّصية؟

وهل هناك تقاطعات بين المدرسة العربية وكذا المدرسة الغربية وعلى رأسها عبد القاهر الجرجاني الذي نحن بصدد عرض بعض ما جاء في كتابه الدلائل من أمارات تخص نحو النص؟ وهل توصل هذا الأخير إلى تفكيك بعض غموض مفهوم النص نفسه؟

يهدف هذا البحث إلى محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات المختزلة في إشكال جوهري يتمثل فيما يلي:

هل يمكن لمفهوم نحو النص أن يكون قاسما مشتركا بين مدرستين إحداهما عربية يمثلها الجرجاني والأخرى غربية يمثلها فان دايك (Van Dijk) ويتفقان فيما بينهما رغم اختلاف المرجعيات الفكرية والزمانية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية ارتأيت أن يكون موضوع بحثي كما يلي:" تجليات نحو النص عند عبد القاهر الجرجاني".

وتجدر الإشارة إلى أنّ الموضوع المطروح للبحث، سبق وأن تناولته دراسات كثيرة ولكن بطروحات مختلفة، انصبت في مجملها

حول إثبات النظرة النصية العربية، نذكر على سبيل المثال، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي، التطور النظري للتحليل النصي، حاتم الصكر، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي.

وأما ما ساقني إلى اختيار هذا الموضوع فيرجع إلى عدة اعتبارات منها:

- قراءتي لكتاب دلائل الإعجاز وما وجدت فيه من تجليات لسانية جديرة بالاهتمام.
- محاولة استجلاء بعض خفايا التراث من خلال النظريات الغربية اللسانية النصية.
- محاولة الوصول إلى إبراز أسبقية النظرية اللسانية النّصية العربية عند عبد القاهر الجرجاني على غرار المنظرين الغربيين.
- إظهار عالمية الفكر اللساني العربي إبان عصور ازدهاره.
- فتح مجال البحث واسعا أمام الباحثين العرب لإحياء التراث العربي الأصيل، لاسيما في إطار تقديمه كبديل يقف ضدّ التيارات الغربية التي تدّعي امتلاك قيد كلّ العلوم.
- كما أنّ هدفي الأسمى من هذه الدراسة، هو مواصلة البحث عن خفايا تخص علم النص عند عبد القاهر الجرجاني ومحاولة تقديمها في قالب علمي حديث، يبرز مدى قدرة قدمائنا على التحكّم في المادة اللسانية قبل الغربيين.

شملت الخطة المعتمدة في البحث مقدمة ومدخلا وثلاثة فصول وخاتمة؛ حيث تمحور المدخـــل حول تتبّع الملامح الأولى لنحو النّص عند العرب، ثم عرّجت على التحوّلات الهامة التي عـــرفها موضوع الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النّص.

خلال الفصل الأول، حاولت أن أعرض الإسهامات النّصية الغربية بمختلف وجهات نظرها، سواء من ناحية تنظيم النّص حسب مفاهيمه ومظاهره وكذا المعايير التي تفترق وتتلاقى عند بعضهم.

كما أردت من خلال نفس الفصل أن أقف بنوع من الاستفاضة عند فان دايك (Van Dijk) باعتباره مؤسسا لنحو النّص، حيث تم التطرّق فيه إلى الكيفيات التي ينتظم بها النّص عنده من ناحية البناء والأدوات المستعملة لتحقيق الترابط والانسجام.

أما الفصل الثاني والذي يعتبر محور البحث وأساس تصورنا، حاولت من خلاله الوصول إلى جمع ما أمكن من القواعد والمعايير النّصية عند الجرجاني المنتشرة في تأليفه ثم عرضها وتحليلها ودراستها على ضوء الإسهامات المعرفية والمنهجية المعتمدة لدى أقطاب وزعماء تيار اللسانيات النصية الغربية.

وفي الفصل الثالث والأخير، انصبّ سعينا على محاولة إثبات وجود نحو نصّي لدى علماء العرب الأقدمين وعلى رأسهم "عبد القاهر الجرجاني" من خلال عرض مقتطفات من إنتاجـــه العلمي في مجال التأصيل لنظرية لسانية نصية عربية.

وذيّلنا البحث بخاتمة حاولنا فيها حصر أهم النتائج المتوصل إليها.

هذه الفكرة المحورية تجلّت واضحة في الكتاب الأساس "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني الذي اعتمدناه مصدرا أساسيا في عرض بعض النّصوص التي تهدف إلى إثبات أسبقية العرب في التأسيس لعلم النّص.

وطبيعة الموضوع اقتضت مني أن أعتمد على المنهج الوصفي، كما تمّت الاستعانة بمناهج أخرى عند الاقتضاء ونظرا لتشعّب الموضوع، وقلّة المراجع وكباقي الدارسين اعترضت سبيلي جملة من الصعوبات، أعاقت مسيرتي أحيانا ولكن الفضل كلّه يعود لأستاذي الذي وقف إلى جانبي مرشدا وموجها لاختيار المراجع النافعة وحسن استعمالها.

لا يسعنا في الأخير إلّا أن نثني ثناء جزيلا على ما لمسته من مساعدة من الأستاذ المشرف الدكتور "محمد ملياني" الذي سدّد هفواتي وأرشدني إلى ترك ما يترك وحمل ما ينفع؛ كما لا أنسى شكر كلّ الأساتذة والإداريين فلهم دون استثناء أقدّم شكرا لا تقيّده عاطفة، إليهم أبقى رافعا يد الدعاء إلى السماء شاكرا الله تعالى لهم على نبل العطاء وسحر التوجيه.

معمر عفاس

في: 04 فبراير 2012

مدخـــل

نحو الجملة ونحو النص

قراءة في المفهـــــوم

اجتهد علماء اللغة، في مسألة إيجـــاد تعـــريف قار للجملة غيـــر أنّهـــم لم يتوصلوا إلى تحديد مفهوم واحد، شأنـــها في ذلك شأن المفاهيم الأخرى، ممّـــا أرغمهم على ضرورة تتبّع مساراتها النّظرية، كما أنّ البحـــث في اصطلاحها -باعتبارها الرّكن الأساس في التقابلات المنشئة للخطاب المرسل وغير المرسل- أمر تناولته المدارس النّحوية، سواء بذكر الجملة بلفظها أو بمفاهيم القصد منها الجملة في حدّ ذاتها، لأنّه كما تطلعنا الكتب النّحوية" أنّ مفهوم الجملة التبس عند كثير منهم بمفهوم الكلام، فلا فصل بينهما، يقول الزمخشري (ت538 هـ)(*) في هذا الشأن:« والكلام هو المركّب من كلمتين، أسندت إحداهما إلى الأخرى، وهذا لا يتأتّى إلّا في اسمين، أو في فعل واسم، ويسمى الجملة»[1]، فقد ذهب إلى أنّ كلّ مركّب تألّف من كلمتين مسندتين يؤدّي معنى عن طريق عملية الإسناد، سواء كان التركيب من اسم واسم، أو فعل و اسم، يسمى جملة.

إنّ طرح المصطلحين بهذه الصورة، أنشأ ما أسماه المحدثون ممّن انشغلوا بالنّحو العربي بصيرورة الجملة وتحوّلاتها من مدرسة لأخرى، فابن يعيش (ت643 هـ) شرح ما ذهب إليه الزمخشري مشيرا إلى فكرة التوحيد بين مصطلحي الكلام والجملة وعدم الفصل بينهما يقول: " وممّا يسأل عنه هنا،

(*) الإمام الزمخشري هو العلامة أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النّحوي تركماني من أئمة المعتزلة صاحب الكشاف الذي لم يصنّف قبله مثله مولده بزمخشر قرية من خوارزم في شهر رجب 467هـ.

[1] شرح المفصل موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش(ت 643) مكتبة المتنبي القاهرة الجزء الأول (د ت) ص20.

الفرق بين الكلام، والقول النص والسياق، والكلم، والجواب : «أنّ الكلام عبارة عن الجمل المفيدة، وهو جنس لها، فكلّ واحدة الجمل الفعلية، والاسمية، نوع له، يصدق إطلاقه عليها، كما أنّ الكلمة جنس للمفردات»[1]

إنّ جميع الطروح التي سادت المدارس النّحوية حول تحديد مفهوم الجملة، لم تتعدّ الرؤية النظرية، التي حاولت التّفريق بين المصطلحات اللسانية بالمفهوم الحديث المتمثّلة في (الكلام، الجملة، القول..) والدّمج بينها في أداء وظيفة واحدة أو متقاربة، فابن مالك أورد في مطلع ألفيته:

«كلامنا لفظ مفيد كاسْتقم اسم وفعل وحرف الكلم». [2]

الملاحظ أنّ صاحب الألفية لم يأت بمصطلح "جملة" وذلك لاعتنائه بالكلام دونها، لأنّه الشامل، المركّب المفيد بالوضع العربي فائدة يحسن السّكوت عليها، تبعه في ذلك كثير من شرّاح الألفية دون ابن هشام الأنصاري الذي أفرد بابا في كتابيه "مغني اللبيب"، و"قواعد الإعراب للجملة"، الأمر الذي وجه من جاءوا بعده إلى ضرورة التنبّه إلى مصطلح الجملة، هذا ما لمسناه واضحا في طيات المؤلفات التي ألفت بعده، فكانت تعاريفها جليّة واضحة.

وردت الجملة لغة: الجمل (بضم الجيم والميم) الجماعة من النّاس. ويقال: جمل الشيء: جمعه. وقيل لكلّ جماعة غير منفصلة:

---

[1] الخصائص عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار دار الشؤون الثقافية بغداد ط4 الجزء الأول 1990 ص30.

[2] كاشف الخصاصة عن ألفاظ الخصاصة شمس الدين أبي الخير محمد بن الخطيب (ابن الجزري) تح: مصطفى أحمد النماس مطبعة السعادة 1983 ص(54).

جملة([1])، وجاءت الجملة في القرآن الكريم بمعنى الجمع قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾.[2]

أما اصطلاحا: فقد تعدّد مفهومها بتعدّد المذاهب النّحوية، ذهب بعضهم إلى أنّها تعادل الكلام، فكلّ منهما يفيد معنى يمكن أن يكون محدودا بالوقوف عنده، حيث يعتبر كلّ من ابن جني ت(392 هـ) وعبد القاهر الجرجاني ت(471 هـ) ممن ذهبوا مذهب أنّ الجملة ترادف وتساوي الكلام. [3]

نشير أيضا إلى أنّ ابن الحاجب ت (646هـ) قال: بعدم الترادف، ممّا يجعله يتّفق وابن هشام ت(761هـ) يقول ابن الحاجب: «الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد: ما دلّ على معنى يحسن السّكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، قام زيد، والمبتدأ وخبره :كزيد قائم، وما كان بمنـــزلة أحدهما »، [4] ممّا يظهر عدم ترادفهما كما توهم كثير من أهل اللغة، وهو ما أظهره صاحب المفصّل، حين استطرد في توضيح الفروق الظّاهرة بين الكلام والجملة، حيث انتهى إلى أنّها أعمّ منه، إذ أنّ شرط الكلام الإفادة بخلافها. [5]

ومنه يتبيّن أنّ الجملة حدّها ظاهر في المركّب الإسنادي، المؤلّف من مسند ومسند إليه، دون اشتراط المعنى المكتفي بنفسه، كما هو الحال في الكلام، فقد

---

[1] ينظر لسان العرب ابن منظور محمد بن مكرم دار صادر بيروت لبنان ط3 الجزء الأول 1994 ص648.

[2] سورة الفرقان الآية/32.

[3] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ابن هشام الأنصاري جمال الدين تح: ح. الفاخوري الجزء الثاني دار الجيل بيروت ط1 1991 ص 490 .

[4] شرح الراضي على كافية ابن الحاجب رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي الجزء الأول ص8.

[5] ينظر المرجع نفسه مغني اللبيب ص490 .

ذهب أحمد المتوكّل إلى أنّ الجملة البسيطة، تحدّد بسمتين أساسيتين، أنّها لا تتضمّن أكثر من حمل واحد في مقابل الجملة المركّبة التي تتضمّن حملين على الأقل، أيضا محمولها محمول أصل (غير مشتق) في مقابل الجملة المشتقّة. [1]

ما ذهب إليه الباحث، ينمّ عن مدى التعالق المستفيض الموجود بين ما كشفت عنه مختلف المدارس النّحوية العربية في باب التعامل مع الجملة، وبين ما جاءت به الدراسات العربية الحديثة، بحيث إنّه لا يمكن الفصل بينهما وذلك لكون أنّ المدار الأساسي، المعتمد في الجملة كأساس تواصلي مرجعية أساسية تتحكّم في المحمولات المختلفة المشكّلة من طرف مرسل الكلام.

كما تجدر الإشارة أيضا، أنّه مهما تنوّعت الأساليب الخطابية عبر الجمل المشكّلة، تبقى الجملة البسيطة المنطلق الرّكني الذي انبنت على مداره جميع تصورات الخطاب المكتوبة والمسموعة.

ولعلّ ما اجتمع حوله القدامى، هو أنّ الجملة إطار مرتّب، معلوم الحدود، تتحكّم فيه خاصية المعيارية المجرّدة، وما وقوف سيبويه ومن جاء بعده عند حدودها، إلاّ دليل على أنّها الأساس في تحديد المعنى الملفوظ والمقصود بين المتواصلين، فهي لديهم لا تتعدّى الحدود الإسنادية، فلا يمكن أن يخرج أيّا كـــان عـــن بحث ظاهـــرة التواصل، إلاّ فـــــي إطار تحديد شـــأن التعالق المقصود،

[1] ينظر قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النّص أحمد المتوكل دار الأمان للنشر والتوزيع 1998 ص(151150).

داخـــل الجملة دون غيرها ولا يمكـــن أن تتحقّق ظاهـــرة التأثير والتأثر إلاّ بها.

أيضا فالمعنى المقصود لا يستوعب دون أن تبنى الجملة بالرّتبة المتحقّقة في الأداء الإسنادي الاسمي والفعلي، المتناثر عبر أنواعها الأخرى المحدّدة باعتماد ركن المعيارية أساس الفصل بينها، كما هو الشأن عند البلاغيين حين خاضوا في مسألة الفصائل المتنوّعة للخطاب وعلاقاته المستفيضة والنّحو المعياري، من جهة خدمة بعضهما لبعض، فالمعنى المتضمّن في الجملة، تتحكّم فيه العلاقات الحوارية سواء عن طريق انسجام التآلف النطقي، أو البناء الصرفي، أو حتى من ناحية تباعد الألفاظ أو تقاربها معجميا، ممّا يشكّل بصفة مستمرة الخطاب النّصي المراد؛ لأنّه مهما تشعّبت الأطر الحوارية، تبقى ملزمة بطبع التناغم الإنساني المستطرد في إطار الملفوظ عبر خطّية الجملة المسترسلة، بسيطة أو مركّبة.

كـــلّ هذه التناغمات الأصيلة في الجملة، جعلت القدامى ينتبّهون إلى ضرورة تكييف دراستها فـــي إطارها المحدود (الجملة البسيطة) حسب الرّتبة، كـــما أنّهم لـــم يتناسوا الظواهر المختلفة المشكّلة دائما في إطارها الخاص، كالتقديم والتأخير، الحذف، الاستبدال، الإحالـــة، المطابقة، الرّبط بالتعريف، الرّبط بالموصول وغيرها من العلامات اللغوية الأخرى.

كما تردّدت أيضا ملاحظات بشأن الاهتمام بالجملة في كتب القدامى، انصبّت كلّها حول تحديد المحاور الكبرى لعملية التواصل ذات المقصدية الجدّية

في تبليغ الرسالة الهادفة بين أطراف الحـــوار، فالجملة تحقّق الكـــلام الذي هو «اللّفظ المركّب المفيد بالوضع العربي فائدة يحسن السكوت عليها».[1]

إنّ الباعث الأساسي الداعي إلى استمرارية الجملة، كونها تفاعلت مع مختلف الحركات والأحداث النفسية، الإيديولوجية، الفلسفية والاجتماعية وغيرها، متحمّلة كثافتها وتراكماتها، كما أنّها رغم بروز النّص كظاهرة لسانية بدلا عنها، تبقى الرّكيزة التي لا يمكنه أن يحقّق هدفه المضموني التواصلي دونها.

الأبعد من هذا، أنّ عملية التواصل في إطار الجملة والنّص ترتبط بالتحـــوّلات الفلسفية والابستمولوجية المرافقة للألسن في مختلف مجالات التعامل المنشودة ، فمشاغل النّحـــــــاة واللغويين، توجّهت إلى رؤية المصطلحات والقوانين اللغويـــــة قصد تفكيك الأحداث الداخلية المستلزمة والمتضمّنة، ولعـــلّ ذلك من جملة ما ناقشه المعاصرون في مجال المميّزات والميزات التي اتصفت بها اللغة العـــربيـــة، بالأخص في تطـــوير الفكـــر التواصلي، انطـــلاقا من الصوت ووصولا إلى ما يسمى بالتركيب ثم ما يعـــرف حاليا بعلم النّص عند الغربيين. [2]

---

[1] القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج "متن الألفية "لابن مالك وخلاصة الشرّاح لابن هشام و ابن عقيل الأشموني أحمد الهاشمي دار الرجاء عنابة – الجزائر- 1998 ص 9.

[2] ينظر التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كتاب كليلة ودمنة دراسة إحصائية وصفية المنصف عاشور ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1982 ص13.

هذا الوصف مردّه إلى جملة من المعطيات، تتوزّع عبر سبل هامة، استقطبت فاعليتها من خلال التحالف الموجود بين بني البشر في مجال تعدّد الألسن وارتباطها بأغراض التعبير غير المحدودة ،كما أنّ معظم التصرّفات البشرية، تتحكّم فيها الألفاظ، سواء منها المنطوقة وغيرها المشكّل في خطّية، تعتمد ركنا المسند والمسند إليه، أو تلك التي تتعدّى هذا الإطار إلى ما أطلق عليه علماء اللسانيات النّصية بالنّص، الذي يعلن عن وحدة متكاملة بشأن الأداء المسترعي للمعنى سواء الظّاهر أو الخفيّ، بغية تحقيق المقصدية ودوام الاتصال برفع جميع أنواع اللّبس.

يتأتّى هذا الأسلوب، في ظلّ الانتشار المتقايس، داخل النّص لمختلف الأدوات اللغوية، المتحكّم فيها عن طريق جهاز النّحو وتداعياته المحتملة في رصد كلّ التطلّعات الخطابية، هذه الأخيرة لا تعدو أن تخرج بدورها من مجال التعامل مع الأساليب البلاغية، بالنّظر إلى وثاقة الارتباط وروح التلاؤم الموجودة بين البلاغة وعلم النّحو، مهما تغيّرت الرؤى، فالجملة تبقى المنطلق، كونها الأداة المصدرية في تبيين أنواع الخطابات، وعقد قرينة التواصل المنشود بين الأفـــراد والجماعـــات عـــــن طريـــق تمكيـــن الأدوات اللغـــوية المتنوّعـــــة المكوّنة لها.

إنّ مـــدار النّشاط اللغوي العربي، يتوزّع على ما يسمى "لسانيات الجملـــــة " و"لسانيات الخطاب" المنضوية في الأنساق البلاغية المتباينة، علـــم التفسير، أصول الفقه، هذه الأخيرة لها تتعامل مع مستويات اللغة، المتطابقـــة، المتباعدة، المركّبة، غير المركّبة، وغيرها المنشأ لأحداث خطابية تواصلية، تحقّق إنجازا في مختلف الإنشاءات النّصية، شعرا، نثرا، أو رواية، هذه الإنجازات تسود بسماتها الخطابية الموظفة بقصد الإقناع والإمتاع.[1]

بالرغم من بروز الإرهاصات الأولى في مجال اللغة، كنظام حيوي ذي أثر فعّال في تماسك الأحداث الكونية وتآزرها الفذّ، المحكوم بدلالات التعاطي بين المنشأ والمنشآت، فإنّ ما توصل إليه قدماؤنا لم يرق إلى التنظير، لكون أنّ طبيعة العلاقات بدورها انحصرت في نطاق لا يعدو أن يتخطّى النّظرة الخطّية، لقياس كلّ التصرّفات اللسانية المنتجة لتغطية الأحداث المختلفة، كما أنّ تحدّيات فلسفة اللغة، تحكّمت فيها المعايير التي ألّفت الجملة بكلّ غاياتها التواصلية، والتراكيب بتآليفها الخطابية البلاغية، التي تقابلت تشاكلاتها المختلفة، لإبراز عناصر الحوار التّحتية والفوقية المقصودة دون عناء.

---

[1] ينظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي المركز الثقافي العربي الدار البيضاء–المغرب– الطبعة 2 2006 ص95 .

كلّ هذه التصرّفات منشأها الربط بين النظام الحرفي للغة وبين نظامها النّحوي، الشيء أكّده أندري مارتني ، حيث إنّ اللغة عبارة عن نظام يشتمل على نوعين من الوحدات: وحدات مميّزة هي الحروف، وحدات دلالية هي الكلمات.[1]

نشير أيضا إلى أنّ المنطلقات الأولى، التي اعتمدها علماء اللغة تركّزت أساسا على الصوت، باعتباره الأداة الفيزيائية المركزية، لتحصيل الفعل الكلامي المنعقد بين المرسل والمرسل إليه، لأنّه بغياب هذه الوسيلة لا نستطيع تحديد توجّه الخطاب، لأنّه بفقدان بلاغة الكلمة، وتركيز أصلها لا يمكن بلوغ المراد إلاّ بجريانها في الأسلوب، وهذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني وأسماه بالنظم.[2]

نضيف أنّ نظام اللغة المطرّد، تتحكّم فيه وسائل متنوّعة، تنطلق من الذّات الفاعلة في حدّ ذاتها، ومن الواقع باعتباره علاقة تناظرية، لا تتحقّق جملها ووحداتها الدلالية دون تزاوجها، أي بين منشأ اللغة وتلك الظواهر غير المحصورة المتعامل معها.

إنّ تجلّيات حداثة المصطلحات اللغوية المنبعثة سواء من خلال التآليف النّحوية أو البلاغية وكذلك في التفسير والأصول، تبرز

---

[1] ينظرالنظريات اللسانية والبلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين محمد الصغير بناني ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر- 1983 ص 121.

[2] ينظر الأصول الأدبية في كتاب البيان والتبيين محمد بركات حمد يأبو علي مكتبة الرسالة الحديثة الأردن عمان 1979 ص43 .

القوة الذهنية والإدراك العميق لخصوصيات اللغة وكيفيات تعامل قدمائنا مع مختلف ظواهرها وأقيستها الصرفية المحكية وغير المحكية، فالظاهر على أنّ مختلف الدراسات القديمة التي تعاملت مع النّصوص – بحسب مدارك ومذاهب أصحابها – صبّت جميعها في شقّ واحد، هدفه تحقيق البحث في مختلف الأبنية المتباينة، المنضوية في إطار التمكّن من الوظائف النّصية المختلفة في تركيباتها وأداءاتها وتأثيراتها.

فالبلاغة العربية ركّزت على دراسة الجماليات والاستدلالات المستنبطة من النّصوص بغية الإقناع والإمتاع، كان ذلك باستخدام آليات مختلفة، تتحكّم في ارتباط وتماسك الخطاب، المؤدي في إطار مستقيم إلى روح التواصل والاندماج. هذه الآليات، يتحكّم فيها النّحو بالنظر إلى التقلّبات المختلفة الطارئة على إحداثيات الجملة، فكيف يستوي خطاب يصل أثره إلى المتلقي دون أن تنطبع التركيبة اللغوية بالصّحة في النطق والخطّ؟

كشفت الإسهامات التي قام بها المفسرون لكتاب الله عن كثير من خبايا الدلالات النّصية الغائبة، وبخاصة ما أطلق عليه كشف المناسبة بين الآيات والسور، هذه الإشارات تأسّست على شاكلتها رؤية وقاعدة عامة، كانت الجملة مصدرها النمطي في مختلف التعاملات البلاغية والنّحوية، التي تسعى إلى ربط الاتصال بين البشر

في إطار تصوّر هادف، تتحكّم فيه ظروف الخطاب المحيطة وغير المحيطة بين المتواصلين.

إنّ التجلّي الأوليّ لنّحو النّص، الذي يعنى بالوصف الكلّي للغة[1]- الموضوع الذي نحن بصدد محاولة استدراكه من خلال قدمائنا-، تنوّع ذكر بعض معاييره لدى الجاحظ من خلال معالجته لظواهر بلاغية ونحوية كثيرة، بالنّظر لما جاء به فيما يسمّى بالحبك والسبك، وكذا الوصل والفصل، فإنّه لا يمكن القول بغير" تجذّر وأقدمية" هذه العلامات النصّية عند العرب.

إنّ تصوّر الجاحظ للغة، لا يتباين عموما في مضمونه وشكله وما توصّلت إليه مختلف الدراسات اللسانية الحديثة، حيث اقترن تصورّه بأربع دعائم هي: الصوت، التقطيع، التأليف والفصاحة. [2]

إنّ التآلف الذي عقده الجاحظ، بين الدعائم التي ذكرناها، بدا واضحا من خلال ربطه بين الصوت، كظاهرة فيزيائية، تنطلق الكلمة عبر مسار هوائي لتقرع أسماع الآخرين مؤدّية رسالة تواصلية وكذا بين تقطيع الكلمات، حيث أورد لذلك أمثلة كثيرة، تمحورت حول الكلمات المتقطّعة وأداءاتها المحورية في عمليات التبليغ، لقد توصل من خلال العيوب الصوتية، كاللّثغة إلى دراسة

---

[1] ينظر في رحاب اللغة العربية عبد الجليل مرتاض ديوان المطبوعات الجامعية ط2 2007 ص148.

[2] ينظر النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين محمد الصغير بناني ص109.

التقطيع الوظيفي مثال: «فلا لثغ المتكلّم عندما يقطع كلمة مضر، بقوله مضي بإخراج الراء من مخرج الياء، لنقصان في آلة النطق، وعجز في أداة الصوت»[1]. فالسامع الذي يسمع مضي، يتفطّن للعاهة ويصحّح الخطأ الصوتي ويفهم كلامه باعتماده التقطيع المألوف،[2] أما دعامتا التأليف والفصاحة فقد حقّق من خلالهما المزية اللّسانية المنعقدة من خلال النّصوص المختلفة، حيث بحث مسألة انسجام النّصوص عن طريق استعماله لمجموعة من الوسائل البلاغية والنّحوية، وهو ما أسماه بالمطابقة الفنية والمطابقة النّحوية.[3]

لقد جاء في البيان والتّبيين أنّ« الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم أنّه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللّسان كما يجري الدّهان»[4]، إنّ لظاهرة التنافر في التركيب النّصي، أثرها القوي في إنشاء التلاحم المستقرئ في خطّية النّصوص سواء الشعرية أو النثرية؛ لأنّه بتباعد الكلمات سواء من ناحية المعنى أو عيب الاستعمال، يفقد النّص

---

[1] البيان والتبيين الجاحظ شرح حسن السندوسي دار الفكر بيروت لبنان (د ت) الجزء الأول ص40.

[2] ينظر النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين محمد الصغير بناني ص 112.

[3] ينظر المرجع نفسه ص 165.

[4] البيان والتبيين ص 89.

حركيته المؤدية إلى مقصدية المتواصلين، كما أنّه بتنافر الحروف من حيث تباعد مخارجها وتباينها، فإنّها تشقّ على الألسن، ممّا لا يخدم التواصل «هذا في اقتران الألفاظ، أما في اقتران الحروف؛ فإنّ الجيم لا تقارن الظاء ولا الطاء ولا العين بتقديم ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير».[1]

يظهر أنّ تلاحم هذه الأجزاء، المكوّنة للنّص ضرورة ملّحة لأداء الرسالة التبليغية (برقية، رسالة ذات رموز ..) بين المرسل والمرسل إليه[2]، انطلاقا من الصوت كوحدة وظيفية صغرى، ووصولا إلى تحقيق الفعل وإنجازه.

لقد ذهب الجاحظ أبعد من ذلك، حيث فرض ضرورة مقابلة المضمون ومجموعة العناصر المكوّنة للإبداع الشعري؛ لأنّ هذه الأخيرة لا تقف عند اللّفظ أي الكلمات فقط، كما يضيف أيضا أنّ السبك والصياغة، يجعلان التركيب اللغوي بكلّ علاقاته النّحوية المتفرّعة يؤثر في توجيه خصائص في الدلالة. [3]

---

[1] المصدر السابق ص91.

[2] ينظر

Essai de linguistique générale,Jakobson, les éditions de minuits-paris-1963,p62.

[3] علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية فايز الداية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص 34.

إضافة إلى ذلك، القدرة الإبداعية التي يتحكّم فيها عنصر الاستطـــراد النّصي المبني على مـــدار الميزان الصـــرفي والنّحـــوي والبلاغي.

كلّ هذه الملامح المتناثرة في طيّات كتب قدمائنا، لم تكن وليدة صدفة، إنّما أملتها الضرورة العلمية والاجتماعية، وسياقات الحال، لتتجسّد فيها النّصوص البارعـــة، فكانت الحقل الذي تحقّق فيه بحث المعايير النّصية، التي جمعها الغربيون في إطار تنظيري، أطلقوا عليـــه نظرية النّص، أو نحو النّص.

تعتبر هذه البدايات الممتدّة من سيبويه فالجاحظ، إلى القاضي الجرجاني، المرجعية العلمية "لعبد القاهر الجرجاني"، الذي نحن بصدد دراسة آرائه النصّية التي تعامل بها، لحلّ اللّغز السائد آنذاك بخصوص التعامل مع كتاب الله، باعتبار تشعّب الفرق والمذاهب، حيث أعطى مفهوما جديدا للنّحو في انتقاله من الجملة إلى التركيب من خلال نظرية النّظم، التي تعتبر بحقّ منطلقا خصبا جمعت فيه النظرات النّصية، التي تبعثرت بحسب المرجعيات المتباينة، التي مثّلت الإرهاصات الأولى لدى من سبقه، بخصوص التعامل مع النّص كظاهرة حيوية، أنشأت حركية دائبة بين المتعاملين بمختلف أساليب الخطاب، دون نسيان ما أسهم به المفسرون للقرآن الكريم في ضبط بواعث الدلالات واستنطاق المضامين، هذه الظواهر اعتمدت في

التفسير والتحليل على الضّوابط النّحوية بأبنيتها المتنوّعة، فقد راعى أصحابها السياقات، مركّزين على حال المرسل والمرسل إليه، يقول عبد القاهر (واعلم أنّ من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبّرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية / حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضمّ بعضه إلى بعض، سبيل من عمد إلى لآلئ فخرطها في سلك، لا يبغي أكثر من أن يمنعها التفرّق، وكمن نضد أشياء بعضها إلى بعض، لا يريد في نضده ذلك أن تجئ له منه هيئة أو صورة، بل ليس إلاّ أن تكوّن مجموعة في رأي العين. ذلك إذا كان معناك، معنى لا تحتاج أن تصنع فيه شيئا غير أن تعطف لفظا على مثله...).[1]

إنّ المادة الأساسية التي تتّفق حولها كلّ العلوم، والتي تنبني عليها البحوث المختلفة هي "النّصوص"، إذن فهي قاسم مشترك قائم بين كلّ الأفراد والجماعات، فبعد أن عرّجنا على بعض أعمال قدمائنا، وجدنا أنّ هناك تقاطعات كثيرة، في مجال التعامل مع النّصوص والأدوات المستعملة في عمليات التحليل، القصد منها إبراز المضامين وتحديد رؤى أصحابها.

فأهم شيء توصل إليه هؤلاء على رأسهم الجاحظ، لم يكن وليد صدفة ولا نقل ومحاكاة عن أمم أخرى، بل مصدره التدبّر العقلي والتعبير عن الذّات العربية، وعراقتها في التعامل مع مختلف العلوم، هذه التأملات جعلت النّص من أبرز الظواهر، والمرتكزات التي اعتمدت لحلّ كلّ

[1] دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني تعليق محمود محمد شاكر شركة القدس للنشر والإشهار ط3 1992 ص (9697) .

التعقيدات التواصلية، كان ذلك باعتماد البلاغة والنّحو كأساسين لحلّ مقفلات الأساليب الخطابية المختلفة.

ومن وجهة التحوّلات التي عاصرت النّص لدى الغربيين، فقد كانت بدايتها العقدين الأخيرين من هذا القرن مع التطوّر العلمي الذي أدّى إلى أن تصبح مشكلات تحليل النّصوص وأهدافها في فروع علمية مختلفة،[1] انطلاقا من مبدأ " تداخل العلوم " ظهرت فكرة جنوح مختلف العلوم إلى الاستقلالية، كما ظلّ لازما ضرورة بروز علم جديد أو اتجاه بحثي يمكننا من استيعاب هذا الزّخم من التداخلات الابستمولوجية، وقد وسم هذا العلم بمسميات عدّة، منها علم لغة النّص، علم اللغة النّصي، علم النّص، أيضا أطلق عليه علم أجرومية النّص، ولسانيات النّص وكذا نحو النّص .

كلّ هذه التغيّرات الطارئة، جعلت علماء اللغة، يتدرّجون نحو الخطاب الذي أولوه اهتماما كبيرا، لكونه الأداة الباعثة على تحقيق التواصل في إطار وظائفه المختلفة والمتباينة وكذا ارتباطه بظروف إنتاجه ومشكلات تفهّمه وقراءاته، هذا ما شكّل أطروحة مهمّة عدّت قطب الرّحى لديهم، لدعم فكرة التحوّل أو الانتقال من أبجديات التحرّك عبر مسار الجملة إلى النّص « إذ إنّ هذا الانتقال لا يعود إلى مجرد معايير التوسّع الكمّي في الأبعاد، بل على

---

(1) ينظر Gilles siouffi et Dan van raemdonk, 100fiches pour comprendre lalinguistique,Breal,Rosny,1999,p138.

العكس من ذلك يتّصل بتغيّر نوعي أخذ يسمح بما يسمى "لسانيات النص"».[1]

كما كان للبحث النّصي عند العرب، قدم السبق على يد عبد القاهر الجرجاني المتأثر بسابقيه، فكذلك فان دايك (Van Dijk) واضع نحو النّص، سبقه علماء لغة آخرون أثروا في مساره اللغوي، ممّا يسوق إلى القول إنّ الدراسات اللغوية الغربية الحديثة لم تكن وليدة الآنية، بل كان لأمثال فرديناند دي سوسير (F. De Saussure)، الأثر الكبير في تطوير مناهجها التي اتخذت من بنية وذاتية النّص المدار الأساس في الدراسة، وكان لتفريقه بين اللغة "Langue " والكلام "Parole " أثره في تحليل النّصوص الأدبية من الداخل وتركيز البحث وإقرانه ببنية العمل ذاته ولذاته.

أيضا، كان للحلقة اللغوية في كوبنهاجن وحلقة براغ، الأثر البالغ في دفع وتنوير النقد بالاعتماد على علم اللغة، والإفادة منه وترقية الرؤية الأفقية أتجاه النّص،[2] الأمر الذي يوجهنا إلى أنّ نحو النّص ولد من رحم البنيوية الوصفية القائمة على نحو الجملة في أمريكا، فقد نشر ز.هاريس[3]" (Z. Harris)بحثا اكتسب أهمية

---

[1] ينظر Adam(J.M) ; élément de linguistique textuelle (théorie pratiques de l'analyse textuelle), Mardage , liège, 1970, et p11.

[2] ينظر الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر محمد سماحة عبد اللطيف دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 2001 ص34.

[3] ينظر تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير) سعيد يقطين المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط3 1997 ص17.

منهجية في مسار التحوّلات التي عرفتها اللّسانيات الحديثة، تحت عنوان "تحليل الخطاب " Analyse du discours نشر للمرة الأولى سنة 1952 في مجلة Languages(1969). [1]

هذا الذي أكسب هاريس "Harris " شهرة الأولين، في مجال تحريك البحث اللغوي، حيث اعتبر أول لساني عدّ الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني، كما أنّه جاء بمنهج جديد لتحليل الخطاب المترابط واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النّصوص والروابط بين النّص وسياقه الاجتماعي. [2]

لقد استخدم إجراءات اللّسانيات الوصفية بهدف اكتشاف بنية النّص، ولتحقيق هذا المبتغى، رأى أنّه لابد من تجاوّز مشكلتين

وقعت فيها الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية «الأولى: قصر الدراسة على الجمل والعلاقات بين أجزاء الجملة الواحدة، حيث اهتم في أعماله بتحليل الخطاب وبتوسيع حدود الوصف اللساني إلى ما هو خارج الجملة.

الثانية: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي ممّا يحول دون الفهم الصحيح ومن ثم اعتمد منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين:

---

(1) ينظر Jean Dubois et autres : dictionnaire de linguistique et sciences du langue , la rousse, 1994, p 34-35et 150-151.

(2) ينظر علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية صبحي إبراهيم الفقي ج1 دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ط1 2000 ص23.

- العلاقة التوزيعية بين الجمل.

- الربط بين اللغة و الموقف الاجتماعي» .[1]

هذه التحوّلات التي شاهدتها الدراسات اللغوية، خلقت نوعا من التريّث والحيرة في التعامل مع مختلف الأساليب الحوارية والنقلية المتمثّلة في النّص، حيث ببروز فكرة استبدال الجملة - بالنظر لمحدوديتها في أداء رسالة التواصل المنعقدة بين البشر- بالنّص فتحت منافذ البحث اللساني على مصراعيها لترتبط كلّ دراسة جادة بمنابعها النفسانية والسوسيولجية والفنية و الإعلامية.

فالنّص وحدة دلالية وليست الجمل إلاّ أدوات، يتحقّق بها النّص، كلّ هذه النقلات الهادفة إلى تركيز النّص قطبا أساسيا في البحث اللساني، لقيت العناية الكافية من التقبّل والاستحسان؛ لأنّ الدرس اللغوي كباقي العلوم الأخرى تأثر بظاهرة الانتقال خلال أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وتأثير الفلسفة الوجودية، ووقوفها أمام كلّ التصرّفات المنطلقة في خضم التفاعلات الباحثة عن إيجاد ذاتها.

تعتبر هذه المرحلة بحقّ فترة تقارب حاسمة، أنشأت روحا علمية جديدة، تحدّدت من خلالها الرؤى المختلفة، كما رصفت فيها التوجّهات لتكوّن فيما بعد آراء لزمت أصحابها في إطار مدارس،

---

[1] البديع بين البلاغة واللسانيات النّصية جميل عبد المجيد الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998 ص65.

عرفت بجدية البحث في المجال اللساني، الذي ركز على النّص كظاهرة جديدة مع ربطه بالسياق العام باعتباره ناطقا رسميا يحمل التبادلات المعرفية والأدبية، وكلّ ما يدور بين الأفراد والجماعات من تصرّفات إيجابية أو سلبية .

مفهوم النّـــــص:

إنّ المنهجية تقتضي منّا الوقوف على مفهوم النّص في وضعيه اللغوي والاصطلاحي، لرفع أيّ لبس أو غموض ولعلّ بالرجوع إلى المعاجم العربية نستطيع أن نجلي نظرة عامـــة، تتبيّن من خلالها المفاهيم المختلفة، حيث وردت في لسان العرب لابن منظور« مادة " نصص": النّص: رفعك الشيء »[1].

النّص في معجم المصطلحات في اللغة والأدب لمجدي وهبة وكامل المهندس « الكلمات المضبوطة أو المخطوطة التي يتألف منها الأثر الأدبي، اقتباس أجزاء من الكتب المقدمة والتعليق عليها في الوعظ، الاقتباس الذي يعتبر نقطة انطلاق لبحث أو خطبه» .[2]

علاقة النحو بالصرف:

علم الصرف والنحو متدخلان لا يمكن الفصل بينهما، لكون أنّ كلاّ منهما مكمّل للآخر، فالصرفي يهتم ببنية الكلمة والتغيّرات

---

[1] لسان العرب انظر مادة: "نصص" ص648.

[2] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مجدي وهبة كامل المهندس مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح بيروت ط2 1984 ص 412.

الطارئة عليها كوحدة صوتية ملفوظة بينما النحو يكمّل هذه الصيغ الصرفية داخل الجملة والعبارة أي أنّه يهتم بتركيبها.[1]

النّص في الدراسات الغربية:

أمّا الأصل اللاتيني لكلمة نص[*]في اللغات الأوروبية فإنه توجد كلمتي Texte، Text مشتقتين من textus بمعنى النّسج Tessu المشتقة بدورها من " Texere " بمعنى نسيج.[2]

ولمقاربة هذه المادة من الوجهتين العربية والأوروبية نعقد قرينة بسيطة بين أصل الاشتقاقيين العربي واللاتيني، فالأصل في العربية يوصل إلى معنى الكمال والاستواء وللنسيج أيضا، كما في اللغة اللاتينية، فكلاهما يؤدي إلى بلوغ الغاية والاكتمال في الصنع[3].

---

[1] التصريف موضوعاته و مؤلفاته مختار بوعناني ط2 دون دار نشر 1998 ص22 .

[*] وردت كلمة نص في اصطلاح الأصوليين بمعان مختلفة تعكس مستويات دلالية تحددها درجة الظهور أو الخفاء في النص.

عبارة النّص: ويطلق على المعنى الحرفي للنّص أي المعنى الذي يتبادر من خلال الصيغ التي تكوّن مفردات وجمل النّص فهو المعنى الظاهري الذي يبرز سطحيا في النّص. إشارة النّص: وهو المعنى الذي لا يتبادر فهمه من ألفاظه ولا يقصد من سياقه ولكنه معنى لازم للمعنى المتبادر في مقصود السياق. دلالة النّص: وهو ما يفهم من روح النّص ومحتواه. اقتضاء النّص: هو المعنى الذي لا يستقيم الكلام إلا بتقديره

[2] ينظر dictionnaire quillet de la langue française, (gz) librairie Aristide quillet, Paris, 1983.

[3] ينظر تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص عبد القادر شرشار منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر 2006 ص20.

كما أنّ مفهوم النّص في الدراسات الغربية يتقارب والمفهوم الذي أوردته مختلف التعاريف العربية وبإيراد بعضها نتمكّن من المزاوجة بين ما جاءت به مختلف الرؤى الغربية والعربية بخصوص الوقوف على مصطلح نّص حيث جاء على لسان زتسيسلاف واوارزينياك (Zatsaslav Aurzynak) بأنّه «تفهم النّصوص بأنّها بشكل حدسي ولغوي وحدات لغوية، أما بالنسبة لعلماء الأدب فهي أجناس معينة مثل القصيدة والرواية والقصة "فالنّص" بوصفه مفهوما لغويا يميّز تعريفا له».[1]

أما برينكر(Brinker) يتحدّث عن النص من منظور أنّه «تتابع مترابط من الجمل، يستنتج من ذلك أنّ الجملة بوصفها جزءا صغيرا ترمز إلى النّص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة ستفهام أو علامة تعجب ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنّها وحدة مستقلة نسبيا»[2].

يوضح برند شبلنر (Hiblnr, Bernd) على ما جاء به برينكر (Brinker) بأنّه يوضّح النص بالجملة والجملة من خلال تطبيقه

---

[1]مدخل إلى علم النّص مشكلات بناء النص زتسيسلاف واورزينياك ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط1 2003 ص53.

[2]علم اللغة والدراسات الأدبية برند شبلنر ترجمة محمود جاد الرب جامعة الملك سعود الرياض د ت ص188 .

النص، كما أنه غير منهجي من الناحية العلمية، لغموض الرموز والعلاقات التي يتضمنها، واتساع الوصف، ومنه ثم يمكن تطبيقه.[1]

هبلش Heplechهو « تتابع متماسك من الجمل، "على نحو أدق من الوحدات النّصية TEXMEN » .[2]

هارفج(Harweg):«النّص تتابع مشكل من خلال تسلسل ضميري متصل لوحدات لغوية » .[3]

فإن دايك (Van Dijk)« النّص هو بنية سطحية توجّهها وتحفّزها بنية عميقة دلالية ».[4]

تتراوح مختلف تعاريف النّص، بين شكليته الظاهرة على مجموع تحوّلاته المنعقدة في الجملة كإطار عام، انطلقت منه الدراسات اللغوية عامة، كما أنّها تتوجه أيضا إلى حلّ أهم إشكال طرحته هذه الدراسات، والمتمثل في حلّ ألغازه الداخلية التي تفصح عن مضامينه وتقلّباتها المختفية بين التراكيب المتوالية فيه، كما أنّ الظّاهر على اختلافاتها يندرج تحت الغطاءات المذهبية المنغلقة على ذاتها، والمتعاملة مع اللّغة على أساس تطلعاتها الشخصية، التي تصبّ جميعها في وعاء واحد وهو إبراز الظواهر اللغوية في إطار الموقعية

[1] ينظر المرجع نفسه ص189188.
[2] المرجع نفسه ص 55.
[3] المرجع السابق ص 55.
[4] المرجع نفسه ص 56.

دون مراعاة إنسانية اللغة، يذهب كارل ديتر بونتنج(Karl DETERBONTEJ) إلى« أنّ النّص مفهوم تحليلي خاضع للوصف والنظر ويحدّد انطلاقا من الملاحظ أو بوصفه قارئا بسيطا».[1] أي أنّه لا يمكن أن نتصور بناء نص بشكل اعتباطي؛ لأنّ مقامه تتحكّم فيه آليات مختلفة، لاسيما القارئ باعتباره المحرّك الأساسي لمختلف مساراته وتشكلاته.

النّص والدراسات العربية الحديثة

النّص عند حاتم الصكر «النّص من حيث هو ملفوظ يبرز للعيان جزء يسير منه شكله(...)فروعه فتمثل الجزء الخفي منه ».[2]

من التعاريف المختلفة والمتباينة المطروقة، يظهر أنّ تحديد معنى النّص في حدّ ذاته ينطبع بالتقلّبات التركيبية المتناثرة عبر الأساليب المختلفة لأنواع الخطاب، فالنّص لا يمكن أن يتحدّد عن طريق الجملة أو الفقرات مهما كان نوع الخطاب المطروق، كما أنّه من جهة ثانية قد نعتبر لغزا أو قولا أو مثلا، نصا.

أمّا من وجهة الدلالة فلا يمكن حصر أجزائه المحتواة فيه، لكون ارتباطه بمجوعة من التأثيرات التي تحدّدها حالات مختلفة منها

---

[1] المدخل إلى علم اللغة كارلديتر بونتنج تر: سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة 2006 ص 45.

[2] التطور النظري للتحليل النصي حاتم الصكر المجلة العربية للثقافة تونس عدد32 1997 ص211.

المقام والبواعث الاجتماعية والنّفسية هذه الأخيرة لها أوطد علاقة، بما يسمّى بالتعالق الموجود بين الذات الفاعلة والذوات الأخرى المنفعلة ما يسمى بفرضية التجاوب، أي تحوّل الخطاب من لسان الناطق إلى المتلقي، كما يمكن القول أيضا أنّ التجاوب يكون بين العمليات النفسية والنحوية التي يستخدمها مستعمل اللغة[1]، في هذه الحالة يعتبر النّص نسيجا متشابكا من الخيوط تتحكّم فيه جميع العلاقات بأحداثها المستمرة، سلبا وإيجابا وفي أيّ ظرف من الظروف

مفهوم نحو النّص : يقوم هذا المصطلح على أساس مصطلح نحو الجملة لاعتبارات عدة :

1- عدم قدرة الجملة على استيعاب كلّ مسائل الوصف اللغوي، وذلك للمحدودية الدلالية التي تتّصف بها الجملة في إطارها الانفرادي.

2- انحصارية الجملة، وعدم مراعاتها لعنصر المقام (الواقع)، لما له من دور فعال في الدراسة اللغوية، بحكم أنّ اللّغة أداة تواصلية. فخروجها عن السياق لا يمكّنها من أداء المقصدية «إنّ الفهم الحق للظاهرة اللسانية، يوجب دراسة شاملة وليس باجتراء البحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى في اللسانيات البلومفيدية، أول أمرها

[1] انفتاح النسق اللساني دراسة في تداخل الاختصاص محي الدين محسب دار الكتاب الجديد المتحدة ط1 2008 ص138.

كان التمرّد على نحو الجملة والاتجاه إلى نحو النّص أمرا متوقّعا ».[1]

فنحو النّص علم جديد، تحدّى كلّ الهفوات والأخطاء التي وقع فيها نحو الجملة، حيث ذهب بعيدا عن المسحة المعيارية باحثا في الخواص الأسلوبية المتعدّدة والمستمرة، داخل المتواليات البنيوية للنـــّص، كما أنّه تخطّى الدلالة ليصل بعيدا إلى ما يسمى بالترميز الملفوظي داخل التراكيب المختلفة، كاشفا لمختلف العلاقات القائمـــة بين جميع العناصر المؤلفة له، كلّ ذلك بوسائل لغويـــة، تسمح بالترابط والانسجام، المِؤديان إلى المقصدية المرادة بين المتواصلين.[2]

رغم انغلاق الجملة على مستويات معيّنة لا تظفر بالسياق الخاص والعام، تبقى المنطلق العمدة، الذي تركّزت عليه كلّ الدراسات اللّسانية الحديثة، بأبعادها الفلسفية والإيديولوجية والابستمولوجية، كما أنّه لا يمكن أن نغمط من شأنها في توطيد علاقاتها المستفيضة، بما يسمى بالنّص حاليا، فالجملة بتركيباتها النّحوية قيودا وفضلات، تؤسّس مجالا رحبا، تتألف فيه مجموع التراكيب لتصبّ في مكان واحد هو حصر جميع المتواليات المتباينة في تشكيلات قوليه، سردية، شعرية، المكوّنة لمجال خصب، ألا وهو

---

[1] قراءة جديدة لتراثنا الأدبي والثقافي سعد مصلوح جدة ط2 1988 ص860.

[2] ينظر المرجع السابق ص862.

نحو النّص، الذي كشف عن العيوب والهفوات التي وقع فيها نحو الجملة، المعتمد على المعيارية الخالصة، دون مراعاة المقام والأنماط الأسلوبية المتباينة في النّصوص، كما أنّه تعدّى دراسة المستويات الدلالية النّمطية، إلى بعث ظواهر جديدة، توجّهت إلى تفكيك الرّموز والعلاقات المؤثرة في أي نوع من أنواع الخطاب.

الفصـــل الأول

الإسهامات النصية الغربية

المبحث الأول: تنظيم النّص عند هاليداي ورقية حسن:

أولا: تحديد بعض المفاهيم:

النّـــــــص: لقد انشغل الباحثان ببحث مسألة النّص باعتباره وحدة تواصلية، غير أنّ تتبّع مسار المعالجة المعتمدة لديهم للوصول إلى حقيقة النّص المعالج سواء كان مكتوبا أو منطوقا، نثرا أو شعرا، حوارا أو لقاء بين متكلمين، لا يكتفي بالوقوف عند الجملة بتآليفها النّحوية المؤدية لمعنى، قد يكون مقصورا على تلبية حاجة خاصة أو عامة، بل إنّ مجال بحثهما انصبّ حول ركن مهم، تعدّى مجال الجملة إلى متتاليات، تنمّ عن علاقات شكلية ومضمونية، من شأنها أن تحقّق تماسكها وترابطها بغية تشكيل قوة مضمونية فاعلة بين محور المفهم والمتفهم، كما أنّ هذه العلاقة، تسدي لنا خدمة التعريف بين مميزات النّص عما ليس نصّا، فالجمل المنفردة، تبقى دون شك مجالا خصبا للبحث النّحوي المعياري، وكذا الدلالي، ولكن المحور الثاني الذي اهتم به الباحثان، هو وصف النّص وتمييزه عن طريق متكلّم اللغة ذاته؛ لأنّه الفيصل الذي يحكم على مقطع لغوي ما بالنّص أو اللانص، الكلّ الموحّد لديهما يستوجب توفّر«خصائص معيّنة تعتبر سمة في النّصوص ولا توجد في غيرها»[1].

---

[1] Halliday M.A.K And Ruquaya Hassan, 'Cohesion in English , maison longmen , 1976 ,p1.

اقترح محمد خطابي خطاطة بين فيها مجال توضيح المتتاليات اللغوية المشكّلة، في إطار ما يسمّى بالنّص و ما يوصف بما ليس نصا عند الباحثين. [1]

خصائص مميزة

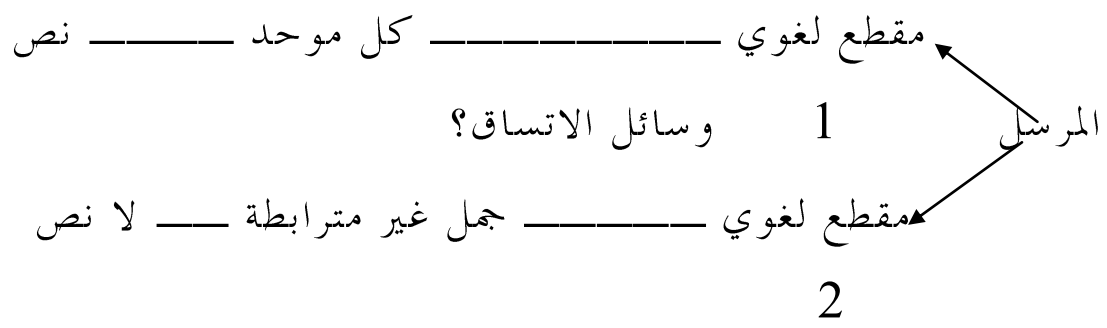

النّص لديهما، يشكّل كلاّ متتاليا من الجمل على اشتراط وجود علاقات بينها أو بعض عناصرها، تحكمها العلاقات القبلية والبعدية المحيلة إلى عنصر أساسي فيها عن طريق التعليق، إنّ هذا النّوع من الارتباط بالتعلّق حسبهما، يفصل بأنّ النّص ما هو إلاّ مجموعة من الجمل على هذا المنوال لأنّه« يمكن أن يكون منطوقًا أو مكتوباً، نثرا أو شعرا حوارا أو مونولوجا، يمكن أن يكون أي شيء من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة ». [2]

ومنه فإنّ النّص، يختلف عن الجمل كونه وحدة دلالية كبرى بينما تعتبر الجمل وسيلة من وسائل تحقيقه، أي أنّ النّص ليس

---

[1] ينظر لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص12.

[2] المرجع السابق ص1.

وحدة شكل، بل وحدة معنى أو مضمون، ومن هذا المنطلق حاولا التأكيد على جانبي الوحدة والانسجام من خلال إشارتهما إلى كون النّص وحدة دلالية .

النّصية: إنّ خاصية التميّز التي ينفرد بها النّص عن اللانص، في جملة الوسائل المختلفة، التي يتحقّق بها على حسب تشكيلاته توسم "بالنّصية " المستشفة مـــــن خلال اكتمال نموّه وأداؤه المقصدية المرجوة منه ككتلة، تتنامى في إطار جملة من المعطيات اللغوية و الدلالية و المقامية.

كما أنّ تعلّق عناصر النّص وتعدّدها، تؤدّي إلى تحقيق العلاقات المتناثرة فيه وتقريبها لأداء الرّسالة المبتغاة، في إظهاره لذة الاستيعاب عند المتلقي، فالنّص إذن إطار، يوفر للمتلقي ما يريـــده بوسائل مختلفة، تصبّ كلـــّها فيما يطلق عليه بالنّصية.[1]

الاتساق : يتحدّد المعنى العام للاتساق، حسب هاليداي ورقية حسن في إطار تعلّق جميع الروابط الشكلية له، سابقها ولاحقها، بجميع مستوياتها اللغوية المختلفة، القصد منها الوصول إلى غاية ضبط البنية النّصية، بمدركات تمفصلاتها الدقيقة، المؤطّرة جميعها لأداء غاية العناصر المتلاحمة المحقّقة، للعلامات المقصودة وغير المقصودة داخل النّص.

[1] ينظر المرجع السابق لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب ص13 .

فالاتساق إذن هو مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة، لجعل أجزاء النّص متماسكة بعضها ببعض[1]، أيّ اعتبار العلاقات النّحوية والمعجمية والعناصر المختلفة، مدار تحصيله في النّص.« إنّ مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنّه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النّص، والتي تحدّده كنص ».[2]

يظهر من هذا، أنّ التواصل الدلالي المقصود حين يتحقّق الرّبط، مرجعيته ثابتة بمدى علاقات التقارب، الخادمة للمعنى داخل النّص، كما يبرز دور الاتساق في تلك المواضع التي يتعلّق فيها تأويل عنصر من العناصر، بتأويل العنصر الآخر، يفترض كلّ منهما الآخر مسبقا، إذ لا يمكن أن يحـــــــلّ الثاني إلّا بالرّجوع إلى الأول، وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة الاتساق....[3]

فالبعد المقصود المرعي هنا، أنّ ظاهرة الاتساق لا تنحصر في المستوى الدلالي، بل تتعدّى ذلك إلى النّحو والمعجم لأنّ اللغة «كنظام ذي ثلاثة أبعاد /مستويات ، الدلالة (المعاني)، والنّحو - المعجم (الأشكال) والصوت والكتابة (التعبير)، يعنى هذا التّصور

---

[1] ينظر المرجع السابق cohesion in inglish ص 5.

[2] Halliday M.A.K And Ruquaya, Cohesion in English Hassan,p4

[3] ينظر: المرجع نفسه ص4 .

أنّ المعاني تتحقّق كأشكال، والأشكال تتحقّق كتعابير، وبتعبير أبسط، تنقل المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة».[1]

إنّ الاتساق يتحقق أيضا في النحو وفي المفردات، ولا يمكن بحثه فقط في مجال الدلالة فقط، ومن ثم نستطيع التكلم عن المعجمي منه والنحوي.

وللتفريق بين الاتساق والبنية يقترح الباحثان «الانطلاق من مسلّمة مفـــادها أنّ النّص ليس وحدة (A unit) بنيوية كالجملة أو ما يشبهها، وكذا ليس علاقة بنيوية، وإذا كان هناك من دور للبنية فهو الوحيد ليس إلاّ، ويتضح هذا بكون البنية، أيّاً كان نوعها تملك وحدة داخلية، تضمن تعبير كلّ العناصر عن جزء من نص ما، ويزداد هذا الأمر وضوحا لو حاولنا إقحام عنصر غريب في البنية، أو تغيير النّص عند نصف جملة ما».[2]

عموما فإنّ بناء الوحدات وتتابع تشكلاتها وتمظهراتها المبنية داخل أصناف المنطوق، جملا وأقوالا وأمثالا تشكّل نصّا، غير أنّ الاتساق زيادة على ذلك، يطرّد داخل نص ما، بتآلف قدرات

[1] لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص15 .

[2] المرجع السابق ص16.

أخرى لابدّ من توافرها، تكمن في احاد وارتباط العلاقات الدلالية التضمينية التي نحكم بها على نصية النّص. [1]

كما أنّ الترابط المقصود، لا يتأتى إلّا بتوفير مجموعة من الظواهر المؤدية جميعها إلى ضمان تحقيق ظاهرة الاتساق في مستوى النص، ومن بين هذه الوسائل، الإحالة، الاستبدال، الحذف، الربط، الاتساق المعجمي.

ثانيا: مظاهر الاتساق:

الإحالة :

يستعمل الباحثان مصطلح الإحالة استعمالا خاصا، وهو أنّ العناصر المحيلة كيفما كان نوعها، لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها.

أي أنّه مهما تعدّدت الاستعمالات واختلفت فإنّ عنصر الإحالة يبقى دون فعالية وتأثير في تركيز وبلوغ المعنى العام المراد الوصول إليه قبليا أو بعديا، لأنّ الفهم الموصل إلى تأويل الكلام، يرتكز على عناصر لغوية من شأنها أن تفتح المقفلات المتباعدة، سواء من جهة ترتيبها في نص أو تنافرها غير المقصود.

كلّ هذه الخصائص التي تملكها عناصر الإحالة المتنوّعة، القصد منها بلوغ مرمى مهم هو تحقيق تطابق الدلالة بين العنصر المحيل

[1] ينظر القوافي تصنيف القاضي أبي يعلى عبد الباقي عبد الله ابن المحسن التنوخي تح: عوفي عبد الروؤف مكتبة الخانجي مصر ط2 1978 ص194 .

والمحال إليه، لأنّهما عنصران يتأثر غياب أحدهما بالآخر فهما متلازمان في أداء رسالة النص ومقصديته.[1]

وللإحالة حسبهما نوعان: «الإحالة المقامية والإحالة النصية، وتتفرّع الثانية إلى : إحالة قبلية، وإحالة بعدية وقد وضعا لها رسما نسوقه كالآتي : [2]

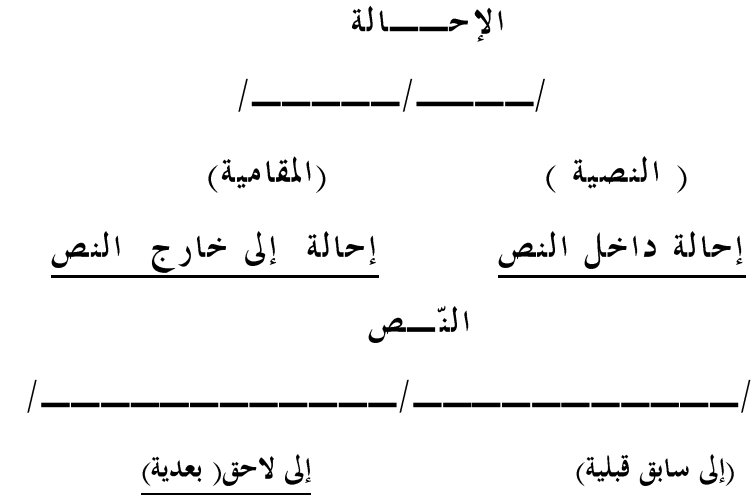

«كقاعدة عامة، يمكن أن تكون عناصر الإحالة مقامية أو نصية، وإذا كانت نصية فإنّها يمكن أن تحيل إلى السابق أو إلى اللاحق». [3]

---

[1] ينظر لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص17 .

[2] المرجع نفسه ص 17.

[3] Cohesion in English,Halliday M.A.K And Ruquaya, Hassan,p33.

لا يمكن تحقيق التفريق بين الإحالة المقامية أو النصية، إذا لم تتحقّق رؤية التفريق بين الإطارين المقامي والنصي، اللذان لا يمكن عزل أحدهما عن الآخر، لكون التآلف والامتزاج المشكل بينهما؛ لأنّه لا يمكن أن نعزل نصا عن السياق، كما أنّه من غير المعقول أن نقيم نصا ونحكم له بالنصية دون مقاميه؛ لأنّ كلّ هذه العناصر تسهم في أداء الرسالة الدلالية المشروعة لدى صاحب النص ومتلقيه، يذهب الباحثان إلى أنّ الإحالة المقامية «تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلى أنّها لا تساهم (...) في اتساقه بشكل مباشر».[1]

معناه أنّ عناصر المقام، ترتبط بإثراء الحقل الدلالي لكنّها غير مجسّدة في أدوات مجرّدة يحكم بها على أداء مظهر الاتساق في النّص، ممّا يجعلها تبتعد عن القيود النّحوية، على غرار الإحالة النّصية، الفاعلة بصفة مباشرة في تحقيق، الاتساق النّصي.

يذهب الباحثان إلى أنّ« وسائل الاتساق ثلاث:

الضمائر و أسماء الإشارة وأدوات المقارنة».[2]

الضمائر كعناصر إحالية، تنقسم إلى وجودية مثل (أنا، نحن، هم) وضمائر ملكية مثل كتابي، كتابك، كتابهم ... وغيرها

---

[1] لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص17 .

[2] المرجع نفسه ص18.

بالنظر إلى أنّ الضمائر وسائل مهمة في تحقيق ظاهرة الاتساق، ينبغي أن نركّز على التحوّلات الطارئة خلال الأداء الكلامي، أو بمعنى تميّز أدوار الكلام(Speech roles) التي تنساق من خلالها ضمائر المتكلّم، الخطاب التي تبعث في الكلام المستشهد به، أو في الخطابات المكتوبة (الخطاب السردي مثلا).[1]

ومنه يظهر أنّ سياق المقام في الخطابات السردية، منطلقه النّص في حدّ ذاته؛ لأنّ الإحالة داخله، يجب أن تكون نصية وذلك، لأنّ سياق المقام كما جاء به هاليداي ورقية حسن، يتضمّن سياقا للإحالة « وهو تخيّل ينبغي أن يبنى انطلاقا مـــــن النّص نفسه، بحيث أنّ الإحالة داخلـــــه يجب أن تكون نصية».[2]

أما الأدوار الأخرى(OTHER ROLES)، ففيها ضمائر الغيبة إفرادا وتثنية وجمعا وهي تنعكس والحالة الأولى لأنّها تميل بشكل مباشر إلى داخل النّص، لتوصيل أقسامه وبحث تناسقها «فحين نتحدّث عن الوظيفة الاتساقية لإحالة الشخص (أي الضمير المحيل إلى الشخص أو الشيء)، فإنّ صيغة الغائب هي التي نقصد على الخصوص ».[3]

---

[1] ينظر المرجع السابق ص 18.

[2] Cohesion in English,Halliday M.A.K And Ruquaya Hassan,p50.

[3] لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص18.

الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق الداخلة في نوع الإحالة هي أسماء الإشـــارة، تصنّف بحسب الظرفية :الزمان (الآن، غدا)، المكان (هنا، هناك)أو الحياد (THE) أو الانتقاء(هذا، هؤلاء) أو حسب البعد (ذاك ،تلك) والقرب (هذه، هذا ...).[1]

أسماء الإشارة تعمل على الرّبط القبلي والبعدي، أي أنّها تربط الجزء اللاّحق بالسابق، ممّا يجعلها تسهم بشكل مباشر في اتساق النّص، يشير محمد خطابي « أنّ اسم الإشارة المفرد يتميّز بما يسميه المؤلفان " الإحالة الموّسعة أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل».[2]

أمّا النّوع الثالث من أنواع الإحالة هو المقارنة، وتنقسم إلى عامة: يتفرّع منها التطابق (ويتم باستعمال عناصر مثل: (Same)والتشابه (وفيه تستعمل عناصر مثل (Similar) والاختلاف (باستعمال عناصر مثل Other وإلى خاصة :تتفرّع إلى كمية (تتم بعناصر مثل: (More) و كيفية (أجمل من، جميل مثل...) أما من منظور الاتساق، فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة[3]. في كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم، مثل الأنواع المتقدمة، لا محالة بوظيفة اتساقية، ما ندعوه " إحالة " يعبّر عنه بشكل عام في اللغة

[1] ينظر المرجع السابق ص19 .

[2] المرجع نفسهص19 .

[3] ينظر المرجع نفسه ص 19.

الفرنسية بـــ" Référence "وفي الانجليزية بـــ "Référence " نسبة إلى "Referant "في الفرنسية و"Referant " في الإنجليزية، وما يوازي اسم مرجع في العربية، فعلى صعيد الكلام، لا تقل:

1) ارجع إلى هذا المرجع أو ذاك، بل:

2) أحال إلى هذا المرجع أو ذاك.

لأنّه يفضّل تسمية " إحالة " على "إرجاع، أو إرجاعية" أو"مرجعية " وذلك لأسباب لغوية أو علمية.

الإحالة و دلالة العلامة اللغوية: في اللسانيات النظرية وفي علم الدلالة بشكل خاص، ربط مفهوم الإرجاع بدلالة العلامة اللغوية أو مفردات اللغة، فعدّت هذه الدلالة قائمة، في بعض جوانبها، على على علاقات ثلاث، تجمع بين الدال " اللفظ" والمدلول " المعنى "و"المرجع" الشيء الذي دلّ عليه أوجدن (Ogdan) وريتشاردز (Richards)، كما جرت العادة على تجسيد هذه العلاقة الثلاثية بشكل مثلث، يعرف "بالمثلث الدلالي" أو مثلث أوجدن (Ogdan) وريتشاردز (Richards).[1]

[1] في بناء النص ودلالته محاور الحالة الكلامية مريم فرنسيس منشورات وزارة الثقافة سورية 1998 ص 14.

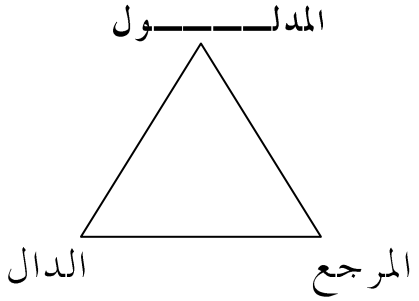

المثلث الدلالي

الاستبدال: حدث تعويضي يجري داخل النّص من خلال إجراء تغييرات أو تبديلات لكلمات أو عبارات، بغية إحداث علاقة الاتساق، فهو يحدث على المستوى النحوي كونه (عملية داخل إطار النّص).[1]

يتّضح ذلك جليا من خلال تعريف هاليداي ورقية حسن: «الاستبدال عملية تتمّ داخل النص، إنّه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر»،[2] يشير محمد خطابي إلى أنّ «معظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر بعنصر متقدّم في النص».[3] وبناء على ذلك فإنّ الاستبدال مصدر أساسي وهام في اتساق النصوص كما أنّ الاستبدال أنواع:

أ ـــ استبدال إسميّ ويتمّ باستعمال العناصر: Same. Ones. One

---

[1] ينظر لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص 19.

[2] Cohesion in English, Halliday M.A.K And Ruquaya Hassan ,p88.

[3] لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب محمد خطابي ص19.

ب ــ استبدال فعليّ ويمثّله استعمال العنصر : Do

ج ــ استبدال قوليّ، ويستعمل فيه العنصران: No. So

My are is too blunt. I must get a sharper one

فأسي جدّ مَثلومة، يجب أن أقتني (فأسا) أخرى حادة

You think joam already knows? Think every body does

(هل تعتقد أن جون يعرف مسبقا ؟ أعتقد أنّ كلّ شخص يعرف)

Of course you agree to have a battle. tweedledum said in a calmer tone « suppose' the other sulkily replied .as the crawled out of the umbrella

لاشك أنّك توافق على وقوع معركة ؟ قال تريدللوم بصوت هادئ "أفترض ذلك" أجاب الأخر مستاء، زاحفا خارج المظلة.

ففي هذا المثال حلّ العنصر (So) محل قول برمته[1]

(you)agree to Gave in battle ?

أنماط الاستبدال لدى هارفج (Harweg):

أــ استبدال المطابقة (نحو تكرير الوحدة المعجمية)

ب ــ استبدال المشابهة (نحو الإعادة من خلال المترادفات)

ج ــ استبدال التلاصق(تحقيقات مختلفة للإعادة الضمنية.[2]

إنّ العلاقة التي تربط المستبدل بالمستبدّل تتّضح بصورة دقيقة من خلال العناصر المؤلّفة للنّص المتلاحقة في ترتيبها وتعالقها

[1] ينظر المرجع السابق ص20.

[2] مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص زتيسلاف واورزنياك ص5.

الدلالي، بحيث إنّ السابق في النّص واللاّحق فيه، تربطهما صلة قبلية ففي المثال الذي أورداه، فالعنصر oneكمستبدل للعنصر فأس يظهر حسب ما أوضح محمد خطابي أنّ الفأس مستمرة في one وإن كانت فأسا مختلفة عن الأولى، إذ إن ّالأولى جدُّ مثلومة، بينما الثانية حادة (وهذا ما يدعوه الباحثان الاستمرار في محيط التقابل).

(لئن كانت العلاقة بين عنصري الإحالة (المحيل، والمحال إليه) علاقة تطابق؛ فإنّ العلاقة بين عنصري الاستبدال (المستبدل والمستبدل) علاقة تقابل، تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد (Repudiation) مثال :

My axe is too blunt ,i must got a sharper one

يتجلّى التقابل هنا، بين الوصفين (Blunt) و(Sharper) هنا:(استبعاد وصف وإحلال وصف آخر محله).[1]

الحذف: تتخلّل النصوص بعض التعاملات المحدثة من طرف مرسلو الخطاب بالتعمّد والمقصدية تارة واللامقصدية حينا آخر، فالحذف كظاهرة تحدث أثرا ظاهرا من الناحية البينوية، تجعل القارئ مضطرا إلى إتمامه ملزما بجره تركيبة الجملة السابقة أو حتى النص السابق، إنّه علاقة اتساق، فهو لا يختلف كثيرا عن الاستبدال إلاّ بكونه "استبَدالا بالصفر"، بينما الاستبدال يترك الأثر في التركيب وذلك بوجود أحد عناصر الاستبدال، يعتبر الباحثان

[1] ينظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص20.

الحذف علاقة داخل النص وفي معظم الأمثلة، يوجد العنصر المفترض في البعض السابق، وهذا يعنى أنّ الحذف عادة علاقة قبلية.[1]

مثال :

John is reading a poem, and Catherine a story

يقرأ جون قصيدة وكاترين قصة.

يشير محمد خطابي إلى أنّ الحذف في مستوى الجمل، لا يهم كثيراً من ناحية اتساق النص؛ لأنّ العلاقة بين طرفي الجملة بنيوية لا يقوم فيها الحذف بأيّ دور اتساقي، وعليه فدور الحذف يبحث عنه، بجدية في العلاقة بين الجمل.[2]

أنواع الحذف : قسم الباحثان الحذف إلى ثلاثة أنواع :

أ -اسمي مثال

Which ha twill you wear? This is the best

(أي قبعة ستلبس ؟ هذه هي الأحسن)

ب - فعلي مثال

Have You been swimming ? Yes I have:

(هل كنت تسبح ؟ نعم ،فعلت)

ج - الحذف داخل شبه الجملة

How much does is cost ? five pounds.

---

(1) Cohesion in English, Halliday M.A.K And Ruquaya Hassan,p144.

(2) ينظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص22 .

كم ثمنه 5 خمسة جنيهات).[1]

يظهر أنّ الحذف له دور أساسي في اتساق النّص، رغم أنّه يختلف عن دور الإحالة والاستبدال في الكيفية التي يؤدياها في اتساق متتاليات النص القبلية، كما أشرنا في البداية بين الجمل وليس داخل الجملة.

وعلى سبيل ذكر بعض من مزايا الحذف، يذهب محمد موسوني إلى أنّ دراسة البلاغيين القدماء و المحدثين قد انصبّت بخصوص بحث ظاهرة الجواب المحذوف في القرآن الكريم حول التوجّه إلى غاية ومقصدية أسراره مثل: حذف جواب القسم في بعض فواتح السور القرآنية التي ورد فيها قسم نحو قوله تعالى:﴿ **وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا** (1) **وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا** ...﴾[2]، فجواب القسم في ذلك كلّه محذوف يفهم من السورة التي ورد فيها هذا القسم[3]، لنرى كذلك حذف المبتدأ في الآية الكريمة: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾، أي فشأني صبر جميل، وأمّا على حذف الخبر فتقديره فصبر جميل أمثل[4].

---

[1] المرجع السابق ص22 .

[2] سورة النازعات الآية/1 – 2.

[3] ينظر السؤال والجواب دراسة نحوية وبلاغية وقرآنية محمد موسوني ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط3 2008 ص66.

[4] الجواهر الحسان في تفسير القرآن الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي الجزء الثاني تح: عمار طالبي الجزائر عاصمة الثقافة العربية وزارة الثقافة 2007 ص310 .

وعلى غرار ما ذكره محمد حطابي، إنّ الحذف له دور في انسجام النص والتحام عناصره وشرطه في اللغة، «لا يتم إلاّ إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد البحث مغنيا في الدلالة، كافيا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر؛ لأنّ هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره». [1]

ما يوجّه إلى أنّ المحذوف من الكلام لو بقي؛ فإنّه يشكّل خللا على مستوى النص، يتمثّل في حشو وزيادات لا طائل من ورائها خاصة إذا وجد في النص أو في محيطه من القرائن الحالية والمقامية.

الوصل

الوصل ظاهرة اتساقية تختلف عن أنواع علاقات الاتساق الأخرى؛ لأنّه لا يشير للبحث عن افتراضات قبلية أو لاحقة في النص بل «إنّه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاّحق مع السابق بشكل منظّم ». [2]

ومنه فإنّ النّص عبارة عن جمل مركّبة أو متتاليات، ترسم خطّيا لتكوّن كلاّ متماسكا، ممّا يجعلها في حاجة إلى روابط تربط سابقها بلاحقّها وهذه الروابط متنوّعة، يتمّ الربط بالوصل الإضافي

---

[1] بناء الجملة العربية محمد حماسة عبد اللطيف دار الشروق القاهرة ط1 1996 ص 208.

[2] Cohesion in English, Halliday M.A.K And Ruquaya, .Hassan,p227.

بواسطة الأداتين " الواو" و "أو" وتندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقّق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل وعلاقة الشرح، وتنماز بتعابير مثل : أعنى، بتعبير آخر وعلاقة التمثيل، المتجسّدة في تعابير مثل: مثلاً "نحو".[1]

أمّا النّوع الثاني، المتمثّل في الوصل العكسي، الذي ينبني على عكس ما هو متوقّع[2]، فإنّه يحصل بواسطة أدوات وبتعابير، إلاّ أنّ الأداة الحقيقية التي يطرّد من خلالها الوصل العكسي هي في نظرهما yet .

الوصل السببي، تنطبع ضمنه علاقات هامة منطقية ذات صلة وثيقة بعلامة عامة هي: السبب والنتيجة الحاصلة، إنّه المظهر الذي يمكّننا من تفكيك العلائق المنطقية بين الجمل والمتتاليات، بحيث يعبّر عنه بعناصر مثل. herefore hence. this .so.[3]

وآخر نوع من أنواع الوصل، هو الزمني ويعني« علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيا وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو: then ».[4]

---

(1) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص23.

(2) ينظر المرجع نفسه ص23.

(3) المرجع نفسه ص23 .

(4) Cohesion in English , Halliday M.A.K And Ruquaya Hassan,p227.

يبدو أنّ كلّ هذه الأنواع المختلفة من الوصل، تتشابه من حيث ربط المتواليات المكوّنة للنص، غير أنّ مراميها داخل النص تتباين ،كما سبق وأن أشرنا، فقد يتجه معنى الوصل إلى ربـــط معلومات مضافة إلى أخرى سابقة أو معلومات كانت نتيجة السبب.

يذهب محمد خطابي إلى أنّ« وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة، متماسكة؛ فإنّه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسي في النص ».[1]

الاتساق المعجمي : يختلف الاتساق المعجمي عن جميع أنواع الاتساق الأخرى، كونه يتمظهر في نوعين أساسيين حسب ما جاء به الباحثان، حيث أنّ النوع الأول الموسوم بالتكريرRéitération، يتطلّب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادفا له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقاً أو اسما عاما، يوضّح من خلال المثال التالي:

I turned to the axent of the peak the ascent
the climb
the task Is perfectly easy
the thing
it

[1]لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب محمد خطابي ص24 .

الصعود

التسلق

(شرعت في الصعود إلى القمة - العـــمـــل - سهل للغاية)

الشيء

هو

فالكلمات المرادفة، للأسماء العامة والأشياء المعبّر بها في المثال، تدلّ على تقارب معناها بالأصل الوارد في خطية الجملة "الصعود "والأسماء العامة عبارة عن مجموعة من الأسماء لها إحالة معمّمة مثل "اسم الإنسان" "اسم المكان" وما شابهما « الناس، الشخص، الرجل، المرأة، الطفل، الولد، البنت...» .[1]

أما النّوع الثاني، هو التضام « وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك مثال ذلك:

Why does this by wriggle all the time? Girls don't wriggle

ما لهذا الولد يتلوّى في كلّ وقت وحين ؟ البنات لا تتلوّى).

فالولد والبنات ليس مترادفين، ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه ومع ذلك فإنّ ورودها في خطاب ما يساهم في النّصية »[2]

[1] ينظر المرجع السابق ص25 .

[2] المرجع نفسه ص25 .

إنّ العلاقة التي تحكم هذه الأزواج، تبدو جلية من خلال عنصر التعارض مثلما هو الأمر بالنسبة في أزواج الكلمات، وكذا علاقات أخرى، الكل مع الجزء، عناصر من نفس القسم العام.

هذه التمظهرات المرتبطة، لا يمكن تفكيكها إلا بالرّبط المعجمي وكذا تسليط الإدراك والحدس اللغوي عليها وعلى تموضعاتها المختلفة، التي تصبّ جميعا في خدمة الاتساق النصي، يظهر ذلك من خلال ملاحظة كلّ التقاربات المحتواة في اللفظ، المشير إليها شكلا ومحتوى.

تلك هي الوسائل الخادمة لاتساق النص، المعتمدة لدى هاليداي ورقية حسن، حيث أنّ أثرها ينجلي في التعامـــل مع الجملة وارتباطها بالجمل الأخـــرى، وكذا المقطع بالمقاطع الأخرى، إنّها وسائل تملّك النص نصيّته بتوافرها فيه وبتوزيع خدماتها المترتّبة على جميع أشكاله المتنوعة .

إنّ القارئ حسب ما جاء به الباحثان لا دور له في صنع اتساق النص« مادام أن النص متسقاً في ذاته يحتاج فقط إلى أن يجعل اتساقه واضحا مبينا ».[1]

(1) المرجع السابق ص25 .

المبحث الثاني: قواعد بنّاء وتنظيم النّص عند روبرت دي بوجراند (Robert De Bojerand).

أولا: النّص في مقابل الجملة:

لم تقتصر معالجة الجملة على القواعد النّحوية، بل تعدّت ذلك إلى بحث بعض الأغراض الأخرى السابقة عن النطق "التلفّظ"، أي أنّ المتكلّم له مرجعية لغوية لا تتحدّد بالنّطق وحده، فالتمعّن القبلي لدى ناطق اللغة تحكمه سمات فكرية هي أقرب إلى المنطق منها إلى الطبيعة، تنطلق من موضوع ومحمول، أمّا المكوّنات القواعدية للغة المنطقية تتشكّل في المركّبات الاسمية والفعلية.

يذهب بعض اللسانيين إلى أنّ الجملة تركيب دلالي وتداولي، الشيء الذي يشكّل بعض الميولات إلى مستوى التعامل والخروج بها من الاستقلال النّحوي إلى السياق، باعتبارها أداة تواصلية همّها تحصيل المعاني الدلالية المقصودة وغير المقصودة "الجانب الدلالي والتداولي".[1]

هذا ما يفسّر قفزة لسانية، طالما تعسّر على بعض اللسانيين التّحكم فيها وتخطّيها وذلك لأنّ معظم المفاهيم الأساسية لا تحكمها صلة رغم مقصدياتها التواصلية الواحدة « وهكذا قامت عقبة لا تستطيع النظرية اللسانية أن تتخطاها؛ لأنّ معظم المفاهيم الأساسية

[1] ينظر النّص والخطاب والإجراء روبرت دي بوجراند ترجمة تمام حسان ط2 القاهرة عالم الكتب 2007 ص89.

متقطّع بعضه عن بعض، و بذا يتحوّل الكثير من الحقائق الأساسية للاتصال إلى مسائل غير مطروحة» .[1]

إنّ الفروق الجوهرية بين النّص والجملة، حدّدها دي بوجراند (Robert De Bojerand) باستقصاء بعض التشكيلات الهادفة إلى التفريق بينهما، حيث أعتبر النّص نظام فعـــّال على حين فالجمل عناصر مـــن نظام افتراضي Actuel System

Victual system ومنه فالجملة، يحكمها القانون النّحوي المطَرّد في التغيّرات على مستوى التركيب، أمّا النّص لديه فإنّه يتحدّى مفهوم الجملة؛ لأنّه يستوي فيها بأجزائها، كما أنّه يعرف إذا تأكدت جميع المعايير النصية فيه أن الجمل في إطارها النّحوي التجريدي المفروض، لا تتحكّم فيه ظواهر وقيود أخرى دون استعمال مزايا سياق الموقف Context-Dépendent Motivation فكلّ عنصر لا يمكن التصريح به داخل الجهاز التكويني للجملة بالحذف أو التضمين دون الإخلال بالطاقة الاتصالية، فالسياق هو الصواب عند تعدّد احتمالات فهم المقصدية.

يذهب روبرت دي بوجراند(Robert De Bojerand) إلى أنّه «ينبغي للنّص أن يتّصل بموقف يكون فيه Situation of occurrenceتتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات Stratégiesالتوقّعاتexpectations

[1] المرجع السابق ص89.

والمعارف knowledgeهذه البيئة الشاسعـــــة، تسمّى سياق الموقف «Context». [1]

يظهر أنّ تفاعل النّص مع السياق، يكون في إطار مستندات هامة تنجلي من خلال احتمال توقّعات جديدة أو مختلفة فيه وكذا معارف جديدة تلبّي الحاجة التواصلية من جديد كلّ هذه الارتباطات المرتبطة بالأصل الموسوم بالقدرة التواصلية يكون لسياق الموقف كامل الأثر على تفعيلها لأداء مهمتها.

منشأه أنّ السياق اللغوي وثيق الصلة بنظام اللغة وكلماتها وترتيباتها المختلفة، ممّا يجعل نبرته تظهر من خلال العلاقات الدلالية بين الكلمات وهو مقياس لتبيين الترادف والاشتراك والأضداد. [2]

ممّا معناه أنّه مهما اختلفت الألسن، فإنّ نظام اللغة تتحكّم فيه آلية السياق، التي تؤثر بشكل مباشر في تأدية المعنى المراد من النص المرسل بين المتخاطبين، هذه النظرة اللسانية ظهرت نبرتها بأكثر قوة لدى البلاغيين العرب وعلى رأسهم الجاحظ ثم عبد القاهر الجرجاني.

أيضا فالنّص« تجلّ لعملAction إنساني ينوي بهIn tends شخص أنّ ينتج نصّا ويوجّه Instructs السامعين به إلى أن يبنوا

---

[1] المرجع السابق ص 89.

[2] ينظر المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي أحمد عزوز منشورات مخبر اللغة العربية والاتصال دار الأديب للنشر والتوزيع وهران الجزائر ط1 2005 ص 161.

عليه علاقات من أنواع مختلفة وكذا يبدو هذا توجيه Instruction مسبّبا لأعمال إجرائية» .[1]

انطلاقا من هذا المنظورّ، فكذلك العلاقات المبنية بين المتلقين والسامعين تتجلّى أحيانا من خلال بعض الأعمال الصادرة، بهدف بناء علاقات من أنواع متعدّدة تخدم المصلحة التواصلية بينهما، يكون ذلك ظاهرا في التنوّع المشكّل في الأطر المقصودة، داخل النّص عبر مسارات الجمل المحقّقة له وخارجه في إطار السياق الموصل إلى تحقيق الفعل وإنجازه ، لذلك فالجملة رغم أدائها غير المتناهي في ترتيبها النّحوي، والاسنادي تبقى« ذات أثر محدود في المواقف الإنسانية، لأنّها تستعمل لتعريف النّاس بكيفية بناء العلاقات النّحوية فحسب » .[2]

كما نشير أيضا إلى أنّ العوامل النفسية Psychological factors والأعراف الاجتماعية social conventions ينطبقان على النّصوص أكثر منها على الجمل، [3] لأنّه لا يمكن أن تعرف حدود الجملة وتتعيّن إلاّ بعد اكتمال عملية الإنتاج ووضعه الوضع الأخير في قالب أدائي ذو قوّة إنجازيه فعالة.

إنّ الجمل لولا تشكّلها في متتاليات، ما أمكن جمع التجارب الإنسانية في العقد التواصلي المبرم بين المتلفظ والسامعين.

---

[1] النّص والخطاب والإجراء روبرت دي بوجراند ص 91 .

[2] المرجع السابق ص 92 .

[3] ينظر المرجع نفسه ص93 .

النّصية TEXTUALITY:

قد تؤدّي بعض الصيغ المعقّدة والأصوات وأنماط بعض الجمل إلى عدم فهم الواقع، بل انتماء الأداء اللغوي داخل النّظام العام المنسوج عبر خيوط من شأنها بناء علاقات عنكبوتية، بهدف إيجابية التواصل أورد روبرت دي بوجراند (Robert De Bojerand) ما جاء به هارتمان (Hartmann) إذ يقـــول بأنّه « في مقابل هذه التجمّعات نجد النّص نظاما فعالا Actual system أي تجمّعا من الوظائف يوجد من خلال عمليات قوامها الحكم والانتقاء اللذان يكوّنان بين عناصر النظام الافتراضي ».[1]

الإشكال المطروح هنا أنّ النّص كنظام فعّال، هل يمكنه أن يؤدي جميع وظائف التواصل رغم انحصاره أحيانا من ناحية تأليفه في الإعلانات والبرقيات، علامات الطرق .

إنّ النّص هو تفعيل لجميع هذه الحالات الافتراضية المطروحة في الخطابات، بحكم منازلها سواء المتحكّم فيها من الوجهة النّحوية أو تلك المتجلية عن طريق المقامية بالإحالة داخل النّص أو خارجه.

« إنّ النواحي الافتراضية للتقابلات المتبادلة mutual oppositions والتفريقات differentiations (تبعا لسوسير) وجودة

(1) المرجع السابق ص 98.

السبك formedness well تبعا لتشومسكي (Chomsky) دليلان غير مكتملين ». [1]

في حين يرى دي بوجراند (Robert De Bojerand). أنّ قصور أيّ فهم للمقدرة compétence لا يعتدّ بمرتكزات التفعيل stratégies actualisation التي يسلّطها النّاس على النّظم الافتراضية ».[2]

لأنّه بإمكان هذه المرتكزات، لاسيما في النّصوص الشعرية أنّ تقود إلى نصوص تتباعد وشروط إيقاع النظم الافتراضية .

ثانيا: معايير بناء النص

السبك: COHESION يتحقّق هذا المعيار باستجابة العناصر السطحية في المتتاليات الجملية -المكوّنة للنّص- إلى اختلاف الوقائع سابقها ولاحقها بحيث أنّها توصل إلى العنصر التراتبـــي "الوصفي" .

Séquentiel connectivity، كما أنّه لا يمكن الخروج عن إطار الهيئة النّحوية للمركّبات phrases والتراكيب clauses والجمل وعلى أمور أخرى مثل التكرار والألفاظ الكنائية pro for mo والأدوات والإحالة المشتركة référence والحذف والروابط Con junctions.[3]

---

[1] المرجع السابق ص 98.

[2] المرجع نفسه ص 98.

[3] ينظر المرجع نفسه ص103 .

الالتحام : cohérence يتوصّل إليه من خلال إجراءات، من شأنها أن تكشف عما تتنشّط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي conceptuel connectivity واسترجاعه، تشتمل وسائل الالتحام .[1]

1- العناصر المنطقية كالسببية العموم والخصوص class inclusion

2- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

3- السعي إلى التماسك، فيما يتّصل بالتجربة الإنسانية، كما يقدم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النّص text présent.. know ledge مع المعرفة السابقة بالعالم prier knowledge of the world .[2]

القصد Intentionnalité : محتواه يتّضح من خلال موقف صاحب تأليف النّص، من وضع أنّ صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام وأن مثل هذا النّص وسيلة instrument من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها، وهناك مدى متغير للتغاضي tolérance في مجال القصد، حيث سيظل قائما من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير

---

[1] إشكالية المعنى في النص المترجم دحمان نور الدين رسالة ماجستير المكتبة الجامعية جامعة وهران 2003 ص 71 .

[2] النّص والخطاب والإجراء روبرت دي بوجراند ص 103.

الكاملة للسبك والالتحام، ومع عدم تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوة وهذا التغاضي عامل من عوامل ضبط النظام systemic régulation يتوسّط بين المرتكزات، strategies اللغوية في جملتها والمطالب السائدة للموقف. [1]كما يوازي عنصر القصد المفهوم نفسه عند عبد القاهر الجرجاني، بحيث أنّه مفهوم نحوي ولغوي صرف، ممّا يؤكد الالتفاتة المبكرة إلى عنصر مهم في مجال التفسير المنضبط للنّص والتأسيس لنظرية عربية تقف أمام المناهج النقدية الغربية المستعارة الحداثية وما بعد الحداثية كالتفكيكية والشكلية، لأنّها تجرّد النّص من سلطة مؤلفه وتطلق العنان للمتلقي في التفسير[2].

كما أنّ معناه – القصد- يرتبط أيضا بمعاني الكلم؛ لأنّ محصول الكلم هو تتبع المعنى الواحد للعبارة ولا يختلف بهذا المفهوم عن مفهوم الفعل. [3]

---

[1] المرجع السابق ص104.

[2] ينظر دلائل الإعجاز ص (310 313).

[3] ينظر في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم خليفة بوجادي بيت الحكمة للنشر و التوزيع ط1 2009 ص170 171.

القبول Acceptability:

يتعلّق معيار القبول بتضمّن موقف الشخص الذي يستقبل النّص من حيث أنّ صورة ما من الصور اللغة، ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام. [1]

أشار دي بوجراند (Robert De Bojerand) أيضا إلى أنّ للقبول مدى من التغاضي tolerence في حالات يؤدّي فيها الموقف إلى ارتباط، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج.

رعاية الموقف : Situationality

تتحدّد هذه الظاهرة من خلال عوامل مختلفة على جعل النّص مربوط بموقف حالي سائد، يمكن أن يسترجع في أي لحظة من لحظات الخطاب، كما أنّ النّص بتشكيلاته المختلفة توجد بينه وبينها وساطة وثيقة؛ لأنّ عملية الاتصال تخضع للأداءات المختلفة المرتبطة دائما بالموقف السائد ومراعاته « إنّ مدى رعاية الموقف يشير دائما إلى طرفي الاتصال على الأقل ولكن قد لا يدخل هذان، الطرفان إلى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين ». [2]

كما يمكن القول أنّ تحديد ماهية مقام المتكلم، تتفاوت وتختلف باختلاف أقوال المتكلمين وقدرتهم على التفاعل والاستجابة

---

[1] المرجع السابق النّص والخطاب والإجراء روبرت دي بوجراند ص 104.

[2] المرجع السابق ص 104 .

أو الجدل مع شركائهم خلال عملية التواصل، إضافة إلى اختلاف واقعهم الكامن خلف عملية التكلم [1].

التناص Intertextuality:

تسمّى العلاقات المتضمّنة بين نص أصلي ما ونصوص أخرى مرتبطة به، شريطة أن يكون وقوعها « في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة» [2]بالتناص.

هذه الوساطة تقوم « بصورة أوسع عندما تتّجه الأجوبة أو النقد إلى نصوص كتب في أزمنة قديمة، وتكامل النّصوص عامل أكبر في مجال تحديد أنواع النصوص text type، حيث تتشكّل التوقّعات بالنسبة لطوائف classes كاملة من الوقائع اللغوية». [3]

أيضا فإنّ المدلولات المختفية في كثير من النصوص، تتقاطع فيما بينها في أداءات مختلفة سواء منها ما يتعلق بالضمنيات أو حتى من ناحية الشكل في بعض الأحيان، تذهب جوليا كريستيفا (**Julia Kristeva**) إلى أنّه لا يمكن اعتبار مدلول النّص الشعري نابعا من سنن محدّد، إنّه مجال لتقاطع عدة شفرات(على الأقل اثنين) تجد نفسها في علاقات متباينه[4].

---

[1]في أفاق الكلام و تكلم النص عبد الواسع الحميري دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع دمشق –سوريا- ط1 2009 ص110.

[2] النّص والخطاب والإجراء روبرت دي بوجراند ص 104.

[3] المرجع نفسه ص 104.

[4]ينظر اللسانيات و تطبيقها على الخطاب الشعري رابح بوخوش دار العلوم للنشر والتوزيع 2006 ص255.

الإعلامية Informativity:

هي العامل المؤثّر بالنسبة لعدم الجزم uncertainity في الحكم على الوقائع النّصية، أو الوقائع في عالم نص textuel في مقابلة البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكلّ نص إعلامية صغرى على الأقل. [1]

المبحث الثالث: قواعد تنظيم النّص عند فان دايك (Van Dijk): [*]

مفهوم الترابط

باعتبار أنّ الجملة ملفوظ تركيبي، فالترابط روح دلالية تسري بين جزئيات هذا الملفوظ، تربطهما علاقة وطيدة لا يمكن فصلها أو

---

[1] النّص والخطاب والإجراء روبرت دي بوجراند ص105

[*] تيون فان ديك من مواليد 1943 بهولندا يشتغل الآن أستاذا لدراسات الخطاب في جامعة أمستردام متحصّل على شهادات عليا في اللغة الفرنسية والآداب من الجامعة الحرة بأمستردام وكذلك على نظرية الآداب من جامعة أمستردام حاصل على دكتوراه في اللسانيات من نفس الجامعة تابع دراساته في كل من جامعة استراسبورغ وباريس وباركلي. دارت أبحاثه الأولى حول الدراسة اللسانية للآداب ثم ما لبث أن تحول إلى تطوير دراسة ضروب نحو النص وتداولية الخطاب ثم اهتم أخيرا وولتر كينتش بعلم النفس المعرفي لمعالجة الخطاب.وقد كرس عمله ابتداء من سنة1980 في حقلين أساسيين: حقل دراسة بنيات مقالات الأخبار الصحفية وإنتاجها وفهمها وحقل التعبير عن ضروب التحايل و التحيز الإنثي في مختلف أنواع الخطاب أسس فان دايك عدة مجلات منها "النص والشعر" و" الخطاب والمجتمع" له مؤلفات عدة منها:Strategies of Text and Context Discourse Comprehension, Discourse and Communication, Discourse Studies

إهمالها أو تناسيها؛ لأنّ العلاقة القائمة في ذاتها برهان على صحّة ومقبولية ما نقول، يشير فان ديك (Van Dijk) إلى ذلك موضّحا بالمثال حيث يقول :

ا- جون أعزب فهو إذن غير متزوج.

ب- جون أعزب، إذن فقد اشترى كثيراَ من الأسطوانات.

ج- جون أعزب، وإذن أمستردام هي عاصمة هولندا.

يوضّح أنّ الجملة الأولى مقبولة والثانية أقلّ مقبولية، والثالثة غير مقبولة، يتساءل فان دايك (Van Dijk)« ما هي أصناف القيود المحدّدة لهذه الحدوس حول المقبولية الدلالية لهذه الجمل والخطابات، بالنّظر على أنّها مركّبة تركيباَ محكما»؟[1]

إنّ الملاحظة التي تشغلنا ونحن بصدد تفحص الأمثلة، أنّ بعضها غير متوفّر على روابط، رغم ذلك فالترابط موجود، الشيء الذي يؤكده محمد خطابي، حيث يذهب إلى أنّ الترابط لا يتوقّف على وجود الروابط، كما أنّ عدم وجود الروابط لا يعني عدم الترابط. [2]

شروط الترابط

[1] النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي فان ديك ترجمة عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق 2000 ص 46.

[2] لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ص32 .

تقوم العلامة اللغوية على إحداث المزايا التواصلية المتجلّية في التضمّن الملفوظ، الموصلة إلى قصدية الفعل المنجز، هذه الظاهرة لا تبدو مزاياها بشكل عشوائي، إنّما تجسّد حقيقة التقلّبات المطرِّدة على القوالب اللسانية المترابطة منطقياَ، والتي يقودها عنصر التفكّر والتمعّن.

وعليه فإنّ الترابط عنصر فعال في أداء الرّسالة المقصودة بين المتواصلين، لا يتأتّى هذا إلاّ بتوفر شروط التناسق داخل الجمل، فالجملة الأولى التي أوردها فان دايك (Van Dijk) جون أعزب، فهو إذن غير متزوج "فالمفهوم "أعزب"، يتضمّن في مقصديته مفهوما مقابلا هو "غير متزوج"، فالداعي الأول الذي لزم ظهور المفهوم المتضمّن في إطار نظام التضمّن، يعتبر شرطا نسبيا نوعا ما للإبانة عن ترابط جملتين، وعليه ذهب عبر المثال الآتي: جون أعزب، وإذن فبيتر غير متزوج.

فمن ناحية المقبولية، فهو مثال غير مقبول، ممّا يجعل الحكم عليه بعدم الترابط، ممّا يستدعي دعمه "بشرط آخر وهو التطابق الإحالي، أي أن يكون الشخص متحدّثا عنه في طرفي الجملة، لكن الجملة "ب" تجعل هذا الشرط غير كاف، وهي جملة "غريبة" بتعبير فان دايك (Van Dijk)، رغم أنّ المتحدّث عنه هو نفسه، وتكمن

غرابتها في أنّنا لا ندري من أيّ منظور يمكن أن يتعالق واقع كون جون أعزب وواقع شرائه كثيرا من الأسطوانات. [1]

بالنّظر لما جاء به محمد خطابي، عن فان دايك(Van Dijk)، فإنّ ترابط الأحداث داخل مستـــــوى التراكيب، تقوده العلاقات المحتملة في الأداءات المضمونة منها، وغيرها الذي تحدّده في كثير من الأحوال الوقائع ومدى تعالقها غير المبرم سابقا في ذهنية المتواصلين، كما أنّه لا يتمكّن من إحداث التطابق الإحالي، حتى وإن كان الشخص المقصود هو نفسه في الجملة، إذا لمسنا أنّ هناك تباعدا وغرابة في ربط المكونات الدالة على ترابط الأحداث، بصفة المدلولية وانقضاء المقصودية التداولية بمنجز فعل، يتحقّق لصالح المحال إليه، كما أنّ هذا الترابط المرهون بالوقائع، ينبغي أن يستجيب لشروط أخرى ترتبط بالترتيب الزمني، يورد فان ديك(Van Dijk) المثال التالي: " أمس كان الطقس حاراً، لذا ذهبنا إلى الشاطئ".

فإنّ جملة مثل : "أمس كان الطقس حارا، فذهبنا إلى الشاطئ في الأسبوع الماضي".

هذه الأخيرة لا يتقبّلها العقل، ومن ثمّ يحكم عليها بعدم الترابط لأنّها تخطّت عنصر التعاقب الزمني التراتبـــي، المفضي إلى

[1] المرجع السابق ص32.

علاقات التوطيد الخطابية الممارسة، على غرار ذلك يشير محمد خطابي، أنّه يمكن لمتتالية ما أن تحتوي هذا الشرط وعلاقة السبب والنتيجة، لكنّها غير مترابطة يعطى مثال عن ذلك :

"حلمت أنّ الطقس حار جدا، فذهبت إلى الشاطئ".[1]

يظهر على المثال بأنّه ينبغي إضافة شروط أخرى ضرورية لضمان تحقّق الخطاب، فكون أنّ الطقس حار في عالم الأحلام لا يمكن اعتباره سببا فعليا لئن نذهب إلى الشاطئ، ومن المنظور إذن فتحقيق ظاهرة الترابط عبر متتاليات الخطاب، تستدعي في مثل هذه الحالات شرط تعالق العوالم الممكنة، يقول فان دايك (Van Dijk) « الجمل المترابطة، إذا كانت الوقائع التي تشير إليها قضاياها متعالقة في عوالم متعالقة » .[2]

يطرح محمد خطابي سؤالا يتضمّن: ما هي الشروط التي تعتبر الوقائع في ظلّها متعالقة؟

إنّ تعالق الوقائع مربوطة بعلاقة السبب والنتيجة « يحدّد السبب على الشكل التالي:" يسبب (A) الحدث (B) إذا كان(A)شرطا كافيا لظهور(B)".[3]

---

[1] ينظر المرجع السابق ص32.

[2] النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي فان دايك ص48.

[3] المرجع السابق ص 48 .

يظهر أنّه كلّما كان المحمول السابق كافيا ومستوفيا للحاصل، تأتي بالضرورة الوقائع متعالقة، مثال ذلك: "جون أعزب فهو إذن غير متزوج". وبمنظور ثان؛ فإنّ هذه العلاقة لا ترد بضرورة دائما.

يوضّح هذا في الأمثلة التالية :

"ذهبنا إلى الشاطئ لكن بيتر ذهب إلى المسبح."

"ذهبنا إلى روما وكذلك فعلت أسرة جونسون".

إنّ الناتج في هاتين الجملتين لا يعبّر عن وقائع واحدة، فالذهاب إلى المسبح ليس نفسه الذهاب إلى الشاطئ، غير أنّه في الحقيقة لا يعني أنّ الوقائع غير مترابطة.

ولتفسير ذلك، يذهب فان دايك (Van Dijk) إلى ما أسماه بـــ "النشاط المتماثل" فالذهاب إلى الشاطئ "والذهاب إلى مسبح " القصد منه هو ممارسة نشاط السباحة عكس المثال الآتي: " ذهبنا إلى الشاطئ وولد بيتر في مانشستر".

إنّ الوقائع المشكّلة لهذه الجملة جدّ متباعدة، لا من وجهة الأنشطة الممارسة لعدم تماثلها، ولا من وجهة تقاربها المكاني، ولا الزماني يقول ديك« يترتّب عن هذا أنّنا نؤول العلاقات بين الوقائع بالنظر إلى قاعدة مشتركة ». [1]

يبدو أنّ جميع الشروط التي أوردها، لتحقيق ظاهرة الترابط النّصي، تتمحور حول قضايا الارتباط بين العناصر المكوّنة لجملة

[1] ينظر لسانيات مدخل الى انسجام الخطاب محمد الخطابي ص33.

أو متتالية هادفة إلى تحقيق الخطاب المقصود، عبر مسارات ووقائع تختلف جميعها، محدثة لأثر أساسه الارتباط بموضوع التخاطب نفسه، يؤكّد ذلك قائلا: « إنّ الشرط الأدنى لترابط القضايا التي تعبّر عنها جملة أو متتالية هو ارتباطها بالموضوع (موضوعات)التخاطب نفسه ».[1]

أدوات الربط:

1- أدوات الربط في اللغة الطبيعية

إنّ جميع التصرّفات الصادرة بين بني البشر، تتحدّد من خلال الممارسات الحوارية، المنشئة لأحداث وعلاقات مستمرة، تتحكّم فيها آليات وضوابط لغوية، فقصور بعض الجمل في تحديد المفهوم المشكّل عبر النسيج الملفوظ، لا يتأتّى إلّا بعقد علاقات بين المتواليات التي تتجسّد من خلال أدوات الرّبط، كالوصل التشريكي « المعروف عند العرب بالعطف عن طريق حرف "الواو" وحرف "أو" وأداة التعليل " لأنّ" وكذلك من أجل..."، هذه الأدوات من شأنها أن تؤلّف جملا مركّبة، من جمل بسيطة وعلى هذا يشير فان دايك (Van Dijk) إلى أنّ عمل هذه الروابط وحصول الإجراء الثنائي "كما أنّ هناك نوعاً أخر من الروابط

[1] النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي فان ديك ص48.

تنحصر في الظروف الاسمية والحرفية، ويتـــألف منها من شبه الجمل مثل "مع أن"، "بالرغم من أن"، "نتيجة لذلك ». [1]

تدلّ هذه الروابط على عوامل الإجراء الثنائي، لأنّها تخرج جملاً من أخرى« كما يمكن أن تكون الجمل الظرفية، بدورها مكوّنة من قضايا اسمية مسبوقة بحروف ظرفية مركّبة، تحمل خاصية الربط من ذلك "بموجب كذا" "بالرغم من أن" و"نتيجة لذلك "كما توجد زمرة رابعة قريبة من الظروف، هي صيغ التعجب ». [2]

تصنيف روابط اللغة الطبيعية:

الوصل

أ-الوصل التشريكي: يذهب فان دايك (Van Dijk) إلى أنّ حرف الواو، يعبّر عن أنواع مختلفة من الربط، فقد تفيد الآنية في التعبير مثال: "دخل محمد المكتب ودخل مصطفى قاعة انتظار المدير".

كما تفيد المكان، أيضا يستعمل ظاهرا ليدلّ على الشرط والتعليل.

يخلص إلى الشروط والأوضاع المتضمّنة في تأويل الحرف الرابط (الواو) :

---

[1] المرجع السابق ص82 .

[2] المرجع نفسه ص83 .

-إذا كانت الموصولات بالواو كلاهما صادقين (الوصل الصيغة الزمنية).

-إن كان الموصولات متعلقتين بنفس موضوع التحاور ومتماثلان معا أو مبتدئتين من موضوع التحاور.

-إنّ الأحداث المدلول عليها بضروب الوصل، إنّما تعتمد على أساس اتصالها الوثيق بعلاقة ما « الجزء، الكلّ والعلّة، المعلول، الشرط الممكن النتيجة الممكنة».[1]

تظهر وثاقة صلة الأحداث، من خلال التلازم المبرم بين أجزاء الكلام، حيث يرتبط مدخله بتسلسل جميع توزيعاته المتناثرة فيه. كما أنّه لا يمكن حصول نتائجه دون مراعاة عنصر الارتباط، الذي تتحكم فيه جميع العلل.

ب- الفصل: Disjonction

مسألة تحقّق الفعل المراد إنجازه، لا تتأتّى في إطار الجمع بين جملتين في آن واحد، يؤديان عرضين مختلفين، حتى وإن كان متقاربين مثال : "إنّي ذاهب إلى المدرسة وأنّي ذاهب إلى المكتبة".

فاحتمال وجود المكتبة داخل أو خارج المدرسة يعني شيئا واحدا، هو أنّ الرّغبة الواحدة، لا يمكنني تحقيقها لتعسّر جمع جملتين أو استبعاد حصولها معا ضروري وعرضي.

[1] المرجع السابق ص (97.96) .

الشيء الذي يمنعنا من الجمع، هو النظر في قضية التحقّق من وقت وقوع الحدث، هل هو نفسه الوقت الذي يقع فيه الفعل الأول أو أنّه تال عنه أم بعيد عنه؟

إنّ اتساع عملية، حتى وإن كانت دون قصد تسوق – بالضرورة – المتكلّم إلى الاستعمال الدال على الامتناع عن الجمع، وهذا هو مدار التركيب يقول فان ديك (Van Dijk): « إنّ صدق الشرط المنطقي للفصل هو أنّ واحدا على الأقل من ضروب الجمل المفصولة، ينبغي أن يكون صحيحا» .[1]

أما الفصل الضّعيف، أو كما يطلق عليه المتسع الشامل؛ فإنّه يستعمل في الحالات التي ستأتلف فيها الأحداث و تتّفق وينتج عنها؛ بأنّ عبارة واحدة على الأقل من مجموعة تحققّت أو يمكنها التحقّق.

المقصود بالضروري، عدم الاتساق المنطقي مثلا لا يمكن أن أكون متزوجا وأعزبا في نفس الوقت، والعرضي معناه اتفاق الأغراض واشتراك المقاصد، بالنظر إلى الأفعال المراد القيام بها مدة زمنية معينة. مثال : "أثناء الصباح قد أذهب إلى المدرسة وأزور عمتي معا" .

أ- قد درس هاري في كمبورج أو في أكسفورد.

ب- لك أن تأخذ ليمون أو تأخذ إجاصة

[1] المرجع السابق ص 97 .

في هذه الحالة كلّ جملة منفصلة من الجمل، قد تكون شروطا ممكنة لأحداث لا معلومة أو نتائج لها. [1]

ظاهرة انفصال الجمل قد تؤدي إلى تباعد المعاني؛ لأنّ الأفعال تدور في سياقات قد تتشابه وقد تختلف كما أنّها تتشكّل في أزمنة، قد تتصادم فيها، ممّا يجعل المقاصد تشترك أحيانا، هذه السمة تحقّقت عن طريق معيار الفصل، المستعمل كأداة توجيه المقصدية.

الخواص السيمانطقية الأساسية لحرف الفصل (أو) الدال على الامتناع عن الجمع:

1-يستوجب أن تكون قضية واحدة صحيحة -على الأقل- في عالم غير ممكن التواصل إليه من الناحية المعرفية، وعلى وجه أكثر، اقتضاء قيمة صدق القضاء أن تكذب أخرى وعكس ذلك في عالم الواقع.

2-في عالم الواقع (أي السياق)؛ قد تكون العوالم التي تصدق فيها القضايا وتكذب على نفس مدار الترتيب، والتخيير البدلي

3-يجب أن تكون القضايا متعلقة بموضوع التحاور نفسه، بحيث ولا واحد منها يكون الموضوع نفسه للتحاور.

4-أنّ حرف الفصل "أو" غير الدال على التبادلية والذي معناه معنى "وإلا " يعبّر عن الشرف. [1]

[1] المرجع السابق ص 99 .

الشرط والتشارط:

الروابط بصفة عامة غير مخصوصة، تعبّر عن مدى العلاقات بين جميع التحوّلات الحديثة الطارئة، غير أنّه أحيانا نجد بعض التبعثر أو التفكّك، الناجم عن الروابط في حدّ ذاتها، كما في الوصل والفصل، كذلك قد تكسب علاقات الأحداث قوتها، بأكثر دقة وصلابة في إطار مفهوم اشتراط العمليات الحركية، المتواجدة بقوة في النّص لبعضها البعض، يكون ذلك بالتحيّز اللازم المبرم بين معنى وآخر، رغم التباعد الخطّي الموجود بينهما في نفس إطار النّص يقول فان دايك(Van Dijk):« ينبغي أن تسمّى هذه الفئة الشاملة لمختلف أنواع الروابط، ممّا يعبّر عنه باقتران تبعية العلاقات بين القضايا و الأحداث بلفظ القضايا المتشارطة».[2]

يبدو من خلال هذا الطرح؛ أنّ قضايا الترابط، تمتدّ إلى تصانيف غير متناهية باعتبار التقلّبات غير المحدودة، بالنّظر إلى الكمّ الكبير من النصوص ذات المرجعيات الفكرية المتنوّعة، هذا ما يجعل علامات النص التراتبية، مرهونة بتشارط الأحداث لبعضها البعض من خلال التماسك المتين، الذي تبحثه شرطية الأداة الملزمة لفكّ الغموض وربط ما تبعثر وتباعد رسمه.

---

[1] ينظر المرجع السابق ص (100-101).

[2] المرجع نفسه ص 103.

إنّ الضرورة المقتضاة من التشارط؛ أن تتحوّل كلّ الآليات التي تخدم قدرة النّص على الوصول إلى المقصدية، المنعقدة بين المرسل والمرسل إليه؛ لأنّه قد تتحوّل الأحداث عن المسار المرسوم لها سابقا في ذهنية الملقي، غير أنّ اشتراط بقاء الأصل باق مهما جرت التقلبات والإحالات المختلفة داخل النّص يقول فان دايك (Van Dijk) في نفس السياق« إنّ اتجاه اقتران تبعية التعليق، يمكن الإفصاح عنها على معنى أن يقال مثلا إنّ "أ" متعلقة "ب" أو بالعكس إنّ كلّ من "أ" و "ب" يقترنان بعضهما ببعض على وجه التبعية والتعلّق».[1]

إنّ هذا النوع من التعليق، تحدّده صفة الشرطية المنطقية المستلزمة لتآلف الأحداث بعضها، غير أنّه مهما أصاب النص مبتغاه، تبقى احتمالات انفتاحه على عوالم أخرى محتملة، تشترطها عقبات وانعطافات غير متوقّعة، يشار إليها في النص باقتران عنصر الخيال وافتراضات تسوقها هذه العوالم، تتكتّل لتربط الأحداث، هذا المعيار أحدث نقلة نوعية في فلسفة الاتصال ومدى استيعابها للتقلّبات الحوارية على مستوى جميع الأطر الزمنية، المكانية وحتى كيفيات التلاؤم المعقودة بين السياق، ودورية التأقلم المبرمة بينه وبين حركية المنطوقات في إطارها الفيزيائي.[2]

---

[1] المرجع السابق ص 104.

[2] ينظر المرجع السابق ص(105104).

تقتضي وجوه التشارط الطبيعية، قضايا يقوم على إثرها ربط الأحداث، تتمثّل أحيانا في قضايا الاستلزام القائم على الصورية، يبين ذلك فان دايك(Van Dijk) من خلال إدراجه لعلامات من شأنها أن توضّح نوع من التشارط، تتحقّق من خلاله مسألة مهمّة، تبين عن العلاقات التحتية غير الظاهرة في النّص على نحو " لأنّ"، و"من أجل أنّ"، "إذن"، "إذا"، "بما أنّ"، "بينما"، "مثلما أن" و"نتيجة لذلك" وغيرها...

هذا النّوع من الأدوات، يحقّق خاصية التشارط الدالة حسب فان دايك (Van Dijk) على أنّ عملية استلزام المتواليات التواصلية يخدم بعضها بعضا بالنّظر إلى درجة التماسك الشديد، المعقود بين القضية "أ" و"ب" المنشأ لضرورة واحدة وهي انجاز فعل وتحقّقه .

إنّ التعليل بأدواته، منطلقه الاستلزام الحاصل بين محمولات الجمل، المؤدية إلى نتائج أحداث سواء كانت مؤكّدة الوقوع قبليا أو محتملة الوقوع، بحكم تقابلها بأحداث أخرى كانت غير متوقّعة في نظر أصحابها.

إنّ الأسباب والعلل، تتحكّم فيها دلالات المواقف عن طريق الأدوات المقرونة بحسب تبعيتها المفيدة لنتائج معلّلة مثلا: ينتابه الخوف لأنّه في حرب، فالخوف والحرب عنصران مرتبطان ارتباطا ضروريا.

إضافة إلى هذا النوع من التشارط، فقد تحصل افتراضات تحدثها أدوات داخل المركّبات المتتالية فالروابط: "إذا كان"، و"في حالة ما إذا"...وغيرها تحقّق ما يسمّى بـــ:

التشارط الافتراضي:

الأداة "إذا" تدلّ على أنّ الأحداث ينبغي ألاّ تؤوّل في العالم المتحقّق واقعيا، إنّ الضروب العامة لتعلّق الأحداث، يتأكّد وقوعها سواء في العالم الواقعي أو في غيره غير المتحقّق، وذلك ما يدلّ على أنّنا نستطيع إثبات صيغ تشارطية، قد تصدق على الخيار ألبدلي في عالم ما ولا تصدق في عالم متحقّق، ومنه يظهر أنّ الخواص المتعارفة للتشارط تنطوي بوجه عام، إمّا على إمكان الشرط واحتماله وإمّا على إمكان النتيجة واحتمالها. [1]

كذلك نجد نوعا آخر من التشارط أطلق عليه فان ديك (Van Dijk).

التشارط متعاند التحقّق

معناه أنّ الأحداث ذات البعد الافتراضي صعبة التحقّق في الواقع، ممّا يجعلها ذات صلة وثيقة بالعالم الافتراضي المتحقّق، مثلا :أن يرغب الإنسان الغني أن تحصل له فرصة شراء القصر .

[1] ينظر المرجع السابق ص (107الى125).

وقد تختلف الأشياء عمّا هي عليه في العادة مثلا: الحالات الاستثنائية غير المتوقّعة وهذه الحالات الاستدراكية، يعبّر عنها بروابط نحو: "لكن"، "مع أنّ"، "وبالرغم من أنّ"، "حتى ومع ذلك"، "بينما"، "وعلى أية حال"... ومن الأمثلة أنّ جون يتقن فن الرّسم والتصوير لكنّه لم يوفق في تصوير مترله.([1])

بيان التغيير بالتعارض (الاستدراك):

ومنه فتبيان التغيير الاستدراكي المتعارض، لا يدلّ فقط على مجرى الأحداث الاستثنائية بل أيضا على الأحداث والأحوال التي لم تكن متوقّعة ولا مرغوبا فيها مثلا: "لقد ذهبت أصطاد السمك إلاّ أنّني لم أصطاد شيئا".

فاصطياد السمك يسبّب بالضرورة واجبا في كلّ حال، إنّما هو احتمال ممكن، وعليه فعدم الاصطياد متعارض مع هذا الفعل فحسب، وبيان التغيير الاستدراكي، قد يدلّ كذلك على عدم استيفاء الإمكان أو احتمال أو الشروط الضرورية. ([2])

إنّ عبارة الاستدراك " لكن " تكافئ من الوجهة السيمانطيقية العبارتين، "مع أنّ"، و" بالرغم من أنّ"، وقد يجتمع مع أن، أو أيضا yet، وكذلك "بالرّغم من أنّ Nevertheless " مع نتيجة غير

([1]) ينظر المرجع السابق ص122.

([2]) المرجع السابق ص 123.

متوقّعة مدلول عليها بالاستدراك لكن من نحو: "لقد نمنا حتى آخر الوقت ة ولكن بالرغم من ذلك فقد أدركنا السفينة".

هذين الظرفين (المركّبين) الأخيرين (سواء كانا مع لكن أم حرف النسق "الواو" يستعملان حتى وإن وقعت الجملة السالبة المتوقعة مثبتة في المعنى. [1]

تتحدّد من خلال الرؤية النصية الغربية أنّ جميع الأدوات المستعملة في توجيه المعنى تتأسس كطرف يتحكم في توزيع المعاني وترشيدها سواء من ناحية أدائها السلبي أو الإيجابي.كما أنّها تشارك في تأليف النتائج وتوزيعها في إطار مرتب ومنتظم ،حسب ما تقتضيه رؤية مرسل الخطاب و متلقيه.

ثالثا: الاتساق

الاتساق الدلالي:

يظهر من خلال ما أورده فان دايك (Van Dijk)، في شأن الاتساق الدلالي السيمانطيقي؛ بأنّ مختلف ضروب المتواليات المركّبة من الجمل، تؤول حتما إلى مصدر واحد، رغم كلّ التقلّبات التي تصادفها أصناف الخطابات قبل صدورها، ممّا يؤكد أنّ العلاقة بين الضمني والمنطوق علاقة واردة -في إطار السياقات الاتصالية-. [2]

---

[1] المرجع نفسه ص 123 .

[2] علم النص مدخل متداخل الإختصاصات تيون.فان دايك تر: سعيد حسن بحيرى دار القاهرة - مصر- ط2 2005 ص135.

لا يمكن في أي حال من الأحوال إنكارها و نفيها« إنّ أسهل طريق لاعتبار ضروب التأويل المتناسبة، ينبغي أن يقوم على تأويل الجمل المنتظمة التأليف في أخصّ النماذج المرتّبة في قالب متسلسل » .[1]

فالنموذج المختار لقياس كلّ التفاعلات المنشاة داخل النّص، تتحكّم فيه هذه الآلية النموذجية، المحدثة لإظهار لغرض واحد وهو قياس التسلسل والانتظام داخل النّص.

فالعلاقات الاتساقية داخل إطار النّص، تظهر من خلال تلك الأبعاد المسجّلة بين الأجزاء الظاهرة والخفيّة وحتى المحتملة منها، كلّ هذه التبادلات تؤول إلى مورد واحد مخصوص، ترتبط جميع قوالبه الخطابية بواقع وسياقات مخصوصة، تتعالق جميعها لأداء رسالة يفرد لنا مثلا إذ يقول:" كلّ الناس" قد تحيل في العادة إلى نفر منهم قد سبق ذكرهم لا إلى سائر الناس الموجودين ممّا يشملهم التكلّم، ولا إلى سائر الناس في عالم ما.

تحليل معنى الاتساق:

لا يمكن الوقوف على تحديد معنى الاتساق، دون أن يشمل المتتاليات الجملية ربط جميع الظواهر والأشياء بصورة مباشرة، حيث يكون عن طريق توفّر عناصر من شأنها أن تجعل الخطاب، منتميا من

[1] النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي فان دايك ص(141140) .

الوجهة الكلّية أو الجزئية أو حتى عن طريق التضمّن أيضا إلى السلسلة المنسوجة، فلا يمكن أن نحكم على اتساق نص من النّصوص مهما كان شكله في غياب هذه العناصر المتعددة فيه، لقد أعطى فان دايك(Van Dijk) مثالا في هذا الشأن إذ يمثّل بأنّ الطاولة، الكراسي هي أجزاء من المكتب، كذلك ارتباط مجموعة من البشر في الهوية واللغة، من خلال هذه الأمثلة؛ فإنّ هذه المتواليات عنده، تؤثّر بشكل مباشر في تحديد اتساق النص، بالنظر إلى وجوبيه التآلف المشروط المحقّق للخطاب في حالة حضور هذه العناصر. [1]

يفرض علينا توالي الأحداث أن نقيم تسلسلا، لأفعالنا وتصوّراتنا قبل تجسيدها في رسم خطي، محمول في أفعال وتبادلات خطابية محدودة وأخرى يتحكّم في إنشاءها المقام في كثير من الأحيان، بمثل هذه الانشغالات المتدفّقة، تتّسق أفكارنا وتتحكّم في ديمومة الأثر المنشأ لأفعال، إنّ أهمّ الشروط المعرفية للاتساق، تقوم على افتراض الحالة السوية الاعتيادية للعوالم المقتضاة، يشير إلى أنّ كلّ العوالم في أعمّ أحوالها وأخصّها متراتب في جريان الأحداث، أمّا بشأن الأخرى غير السوّي، فهناك علامات لغوية نستطيع من خلالها أن نتحقّق من الارتباط والتوالي المتحقّق في النص. [2]

[1] المرجع السابق ص143.

[2] المرجع السابق ص144.

هذا بالنسبة للجمل، أمّا عن شبه الجمل، فإنّها كذلك تحقّق التعبير عن أحداث و قضايا ممكنة في إطار النّص، ممّا يؤكّد أنّ الحالة السوية الاعتيادية مفهوم نسبي، لأنّ الأحداث لا تتوقّف، بل لا يحدّدها المألوف لدينا، لأنّ الخطاب يتنامى بشكل دائم الصيرورة تتحكّم فيه، مصطلحات الجدّة وروح المقام، المقصود حينا وغير المقصود أحيانا أخرى.

مهما يكن من تضارب وتعدّد في الآليات اللغوية المستعملة لدى ملقي الخطاب، التي من شأنها أن تجعل ما نكتب وما نلقي متّسقا، فالجمل قد يظهر عليها ارتباك في بعض الأحيان في تآلفها لسبب من الأسباب، لكن عملية تلاحقها مع متواليات تالية عليها تخضعها لقانون النّص، أو مفهوم الكلّ المتناسق، في هذا الإطار نستطيع أن ننشأ التعاضد والوحدة التي تحقّق الربط بين مختلف الموضوعات المنشودة في النصوص. [1]

يذهب فان دايك (Van Dijk) إلى أنّ اتساق مقاطع الخطاب، يثبت عن طريق سلسلة التفاعلات المحدثة لأثر ما والسياق الاجتماعي؛ [2] لأنّ ارتباط الإنسان بهما وتحركّه في إطارهما، طبيعة ثابتة فيه، فوضع امرأة جالسة بمكتب أمامها نافذة تطلّ منها على العالم الخارجي، تحتويه سلسلة من العلامات، الداخلية والخارجية، فمحيط المكتب ملفوف بعناصر ليست هي نفسها العناصر الخارجية

[1] المرجع نفسه ص146.

[2] علم النص مدخل متداخل الاختصاصات تون.فان دايك ص347.

البعيدة عن المكتب، فالمكتب لا يحتوي أشجارا كما أنّ المحيط الخارجي بأشجاره وجميع تفاعلاته ليس هو المكتب. [1]

إنّ التناسق الشّديد المتجسّد في تصورات الأفراد، ينطبع بشكل ألي في النّصوص المتناسقة، المركّبة في الذهن والواقع؛ لأنّ الرّغبة في تحقيق فعل منجز أمر تتحكّم فيه جميع المعطيات (الذهنية، اللغوية، المقامية).

لخص فان دايك (Van Dijk) بعض شروط الاتساق بحيث :

ا-أنّ كلّ مقام مرتبط بالقالب الخطابي، أي مقام متحد الهوية مع مقام آخر متحقّق.

ب-وجود عنصر واحد على الأقل داخل المتوالية له علاقة مع بعض صور الخطاب السابقة.

ج-وجود سلسلة من المتواليات داخل النّص لا تعرف إلاّ عن طريق العلاقات الجزئية.

د-وجود خاصية أشمل داخل الخطاب تستوعب، الخواص الجزئية بل حتى الاعتبارية، المتناثرة فيه.

ذ-افتراض نتيجة حتمية في الخطاب مهما كان شكلها ضعيفة ممكنة أو قوية ضرورية. [2]

ترتيب الحدث و المتوالية:

---

[1] النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي فان دايك ص147.

[2] المرجع السابق ص149.

إنّ الترتيب الخطّي للجمل يجعلها متسلسلة، حيث أنّ تماثلها في الشكل يجعلها تتساوى مع بنية الأحداث، كما أنّه يخلق التوارد المستقيم من حيث الانتظام الفعّال، داخل شبكة مهمّة يتحكّم فيها الإطار الزمني، التراتبي بشكل مستقيم. يقول فان دايك (Van Dijk) :« إنّ انتظام سلاسل من الجمل ينبغي أن يدلّ على مجموع منظم من الأحداث، وفي بعض الأحوال فإنّ بنية هذه السلاسل المنظّمة قد تكون من الوجهة البنيوية متماثلة الشكل مع بنية متوالية الأحداث... » .[1]

ومنه يظهر؛ بأنّ الأحداث داخل الخطاب ذات مرجعية سائدة تتحقّق عن طريق الأفعال النموذجية المؤثرة، فمهما يكن الترتيب؛ فإنّه يظهر على توالي أنسجة النّص بعض التناثر، هذا الأخير تستكمل تداعياته بضابطة أطلق عليها فان دايك (Van Dijk) "المعترف به"؛ لأنّ أحداث الخطاب في مجملها أحيانا تلتمس في فعل واحد، يكون مدار كلّ التقلّبات الطارئة داخل النّص .

إنّ جميع الصيغ، سواء منها الفعلية أو الاسمية لها وقع في مسيرة الحدث داخل النص أو من وجهة النقلات التراتبية للمتواليات،[*] فلا يمكن أن يحدث تآلف من الوهلة الأولى، دون

---

[1] المرجع نفسه ص150.

(*) جاء في كتاب المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب لـــ دومينيك مونقانو (D.Maingueneau) ترجمة محمد يحياتن أن مصطلح متوالية Sequence يستعمل

الشروع في مسيرة الخطاب المتحكّمة فيه جميع الضوابط؛ لأنّ النتائج مرهونة بإمساكها والتمكّن منها رغم تشعّب الموضوع وانحداره أحيانا إلى خاصية الانغلاق، التي تفتح أبوابا أخرى تشعب عناصره، وتفتحه على مشاريع بحث لم تكن في الحسبان .

هذه التشعّبات، تنتقل عبر خاصية تعدّد الصفات والمسمّيات والنّعوت المختلفة في إطار عنصر الزمن والمكان، لتفتح داخل النّص الواحد مجالا آخر للبحث بدلا من ترتيب واحد، ترتيبات أخرى لكون أنّ النّص تنامى، وأصبح منفتحا على نصوص أخرى، لم تكن لتتحقّق هذه الخاصية لولا البرهان اللغوي المنشود فيه، المنتقلة عبر ميزة النص، بإبانته عن الخفايا المتضمّنة في جمل محصّلة في كلّ نصيّ.

تعتبر جميع أشكال الترتيب الطبيعي، أساس أي تنقُّل داخل النص باعتبار أنّها تحتوي العناصر الطبيعية التي تخدم الترتيب

بدلالات مختلفة في المدرسة الفرنسية واللسانيات النصية وتحليل الحديث1 – تميل المدرسة الفرنسية إلى العمل على مدونات ذات وحدات مقاساتها تساوي أو تفوق الجملة التي تستقيها من نصوص متصلة يتحدث كورتين عن متواليات خطابية بالنسبة لهذه الوحدات التي يتغير شكلها وفق نوع التحليل المعتمد2- يرى جون ميشال آدم أن كل نص مكون على الأقل من متوالية أي وحدة نصية ذات مستوى أدنى من النص المنظور إليه في شموليته يذكر خمس أنواع من المتواليات السردية وصفية حجاجية تفسيرية حوارية)3- في تحليل الحديث الفرنسي برات أوركيوني يقصد بالمتوالية وحدة وسيطة بين التفاعل والتدخل يمكن للمتواليات أن يدرج بعضها في البعض الآخر ويمكن أن تكون متواليات جانبية بالنسبة للخيط الموجه للحديث.

والتناسق؛ كما أنّ ضوابطها أساسية من حيث عدم خضوعها للمستجدات التي تتحكّم فيها الظروف المحيطة والمقام، فسائر الجمل التي تتألف منها اللغة الطبيعية، تنتقل عبر مسار الترتيب إلى أداء النتيجة المنوطة بها في ظلّ الأداء النّحوي داخل النص.

المعلومات الصريحة والضمنية في الخطاب

تعتبر لغة التخاطب الطبيعية، أساس التحوّل المنعقد بين اللغة الفكرية وتحولاتها الطارئة التي تصبّ كلّها في إيراد المعنى المقصود وغير المقصود؛ لأنّه لا يمكن أن نحصر جميع أساليب التعبير المباشر وغير المباشر، باعتبار المقاصد المتنوّعة والأدوات غير المحدودة المستعملة في حصر المعنى والسيطرة عليه.

فاللغة مهما سلست وتداعت أساليبها النموذجية، تبقى بعض حيثياتها رهينة التأويل لا تتعدّى البنى السطحية Surface structure[1] ولا يتمكّن منها بالطواعية؛ لأنّها تتولّد عن طريق التأمل والاستخلاص؛ كما أنّه مهما يكن من إشادة بما تولّده اللغة الطبيعية من معاني مقصودة، تبقى الضمنية تسيطر على كثير من نصوصها لاسيما منها ما يتّصل بالنّصوص الشعرية المعتمدة على الخيال.

[1] اللسانيات والرواية روجر فاولر تر: أحمد صبرة مؤسسة حورس الدولية مصر 2009 ص218 .

يذهب صاحب النص والسياق إلى أنّ أنواع الخطاب، تتمايز فيما بينها فمنها الناقص والتام والضمني، [1] غير أنّ الخطاب المقبول هو الخطاب الذي تتوفّر فيه في النهاية إنجازيه الفعل؛ لأنّه حقّق المراد بوسائله المختلفة وبتمام الأدوات المرشدة من حدث ومقام وبخواصها وعلاقاتها فيما بينها .

توجد بين موضوع المعلومات الصريحة والضمنية علاقة، تراعى من جانب كلّ التصرّفات الحاصلة من طرف أيّ كان على مستوى الخطاب بنوعيه الصريح والضمني، فتركيز الاعتماد في أيّ منهما لا فائدة منه منفردا؛ لأنّه لا يمكن أن تكتمل إنجازية الأفعال في نقص المؤشرات المتنوّعة التي تستعمل لإدراك كلّ الخطابات.

أيضا إنّ الحديث عن معلومة ضمنية، تتحكّم فيه بعض الأدوات الإحالية من الجانب النحوي؛ فلا يمكن أن نعيد لاحق على سابق دون أن نربط الدلالة التي بينهما برابط يحقّق الاتساق وأداء المراد المقصود .

يرى الفرنسي إميل بنفيست، أنّ عملية القول والتصاقها الحميم بصاحبها لا يحدّدان أيّ إحالة كلامية، فبنية الضمائر أو وحدات الشخوص، مبنية على التقابل بين الحاضر والغائب... [2]

---

[1] النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي فان دايك ص156.

[2] في بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية) مريم فرنسيس ص19.

يقول فان دايك(Van Dijk) « إنّ مفهوم إضمار المعلومات وطيّها إذا أخذ كفئة لقضايا مستنتجة(لا من تلقاء ذاتها) من خطاب معلوم، أمكن تعميمه انطلاقا من معلومات تصورية إلى معلومات واقعية حتى ولو كانت الحدود الفاصلة بينها من الصّعب جعلها دقيقة الوضوح» .[1]

يتعلّق فهم هذه المسألة بضوابط محدودة، تنطلق من مبدئية التصوّر إلى تحقّقها وواقعيتها؛ لأنّه من غير الممكن أن نتفهّم الظواهر الحديثة المستنتجة من خلال خطاب ما، دون عقد قرينة داخلية تتشابك خيوطها لأداء المهمّة النّصية، المتّفق عليها في إطار البواعث اللغوية المبينة للدلالات الظاهرة والمتضّمنة.

أيضا، فالسيطرة على تحقيق وتحصيل المعاني المتناثرة بمختلف أنواع النّصوص تتعسّر أحيانا؛ لأنّ مجال النّصوص رحب، يستدعي ضرورة عدم الانغلاق ويبعث إلى التفتّح على نصوص أخرى، قد تكون بعقد القرائن مجالا خصبا للبحث، الذي يسوق إلى اكتشاف الوحدة والعضوية الإنسانية.

هذا الاقتضاء يتعلّق بضروب الخطاب المتنوّعة المسجّلة بالنّص مهما كان مذهب أو جنس صاحبه، إنّ التناصية حتى وإن تعلّقت بالمضمرات، هي استنتاج يمكن تعميمه؛ لأنّ استخلاص التجارب

[1] النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي فان دايك ص161.

الإنسانية تتحكّم فيه روح تشابه المقامات والأحوال، فالنص العربي، يبقى مصدرا نقليا لكلّ التجارب والأحداث، كذلك نصوص الأمم الأخرى.

كلّ هذه المسائل تعالج في إطار النّص، المعقود في بناء لغوي مرصّف تتحكّم فيه الوحدة اللغوية، المقرونة من ناحيتها بالقواعد والأساليب المتنوّعة، التي تتحكّم فيها الجملة مهما تعدّدت واختلفت؛ باعتبارها مصدرا لرعاية النصوص، كما أنّه لا يكتب للنص اتساقا وانسجاما إذا لم تراع الوحدة والترتيب في الجملة.

الموضوع المسند إليه والمسند :

إنّ البنية الثنائية، تسيطر على تركيب الجملة سواء من الوجهة النحوية الكلاسيكية، أو من الوجهة التداولية الحديثة، فالموضوع الذي يشكّل جزءا من الثنائية التي تتحكّم في مسار الجملة وتحليتها البعدية في إطار إبراز المعنى، يعتبر أساسا لا يمكن حصر المقصدية المرادة دون ذكره، فالمسند إليه الذي هو الموضوع أو المبتدأ في النّحو العربي يتحكّم في باقي مسار الجملة؛ لأنّ الحكم يبقى ناقصا في غياب جزء من الثنائيتين (الموضوع المسند إليه والمسند)، وبتعبير النحاة العرب المبتدأ والخبر أو العامل والمعمول.

لا يمكن التّمييز بين العنصرين؛ لأنّ مدار الحديث وأساليب الحوار المختلفة جزء من الثنائيتين، نفس الشيء ينطبق على الجملتين

الاسمية والفعلية يورد فان دايك(Van Dijk) مثالا على ذلك إذ يقول: « جون هو مريض، يكون الجزء (جون) موضوعا مسندا إليه لأنّه يشير إلى شيء نسبنا إليه وحكمنا عليه بشيء ما، بينما يكون "هو مريض" المسند المحكوم به المنصوص عليه في الجملة المختص بالشيء " الصفة والخاصية" المقول على (المحكوم به، والمحمول على جون) وقد يحصل أن يكون المسند أمرا معقّدا كما في القول التالي: ورث جون أموالا عظيمة عن عمه الذي كان يقيم في أستراليا، حيث أنّ جون يـــــؤدّي وظيفة الموضـــوع المسند إليه وسائـــر الجملة تؤدّي دور المسند » .[1]

إنّ الارتباط الوثيق الذي يشكّل عرضيا بين الموضوع المسند إليه والمسند، لا يمكن التحكّم فيه من وجهة واحدة؛ لأنّ كلّ التشكيلات غير المحدودة المنتشرة عبر الكلام المنطوق والمؤلف، لا يمكن التحكّم في منشأها دون الانطلاق من قيودها، وحصر فضلاتها ثم الذهاب بعيدا لعقد القرائن، للتمكّن من تداوليات التواصل الداخلي غير المقصود بعينيات محمولات الجمل السائدة في حنايا وأطراف النصوص ، التي تؤكّدها عملية القراءة الفاعلة المتلاحقة بألسن مختلفة يذكر نصر حامد أبو زيد ذلك حيث يوضح أنّ «النّص اللاّحق يقع بين مطرقة القراءة الإيديولوجية المعرضة

[1] المرجع السابق ص163.

وسندان القراءة الحرفية المثبتة لدلالة النّصوص عند مستوى الدلالة التاريخية، ففي القراءة الأولى يعتصم النّص بمقولة فهم الخطاب كما فهمه المعاصرون له». [1]

إضافة إلى أنّ ارتباط الإحالات بكلّ أنواع الخطاب، لا تعدو أن تخرج عن موضوع المسند إليه والمسند؛ فعدم العثور في كثير من الأحيان على حل لمشاكلنا التواصلية، يرجع إلى التضمينات والتعقيدات المستلزمة في أدائنا الكلامي، ممّا يجعلنا نمتطي قرائن ثانية تفتّح عن طريقها المقفلات القبلية والبعدية المقرونة بأساسين هما: التناسق والانسجام اللذان تتحكّم في إبرازهما الأدوات اللغوية المختلفة باختلاف أجناس أصحابها.

من خلال هذه الإطلالة التي سيقت بخصوص ما جاءت به بعض المدارس الغربية في تناول نحو النص، نحاول أن نعرّج على بعض ما حوته المدرسة العربية من أمارات حول نفس الموضوع، وخير مدرسة مثّلت هذا الطرح ما نقله لنا عبد القاهر الجرجاني من خلال تآليفه النّحوية التي استفاضت في طرح كلّ المفاهيم التي جاء بها الغربيون، التي تقاطعت شكلا ومضمونا بين المدرستين.

[1] النص والسلطة والحقيقة وإرادة الهيمنة نصر حامد أبو زيد المركز الثقافي العربي ط4 2000 ص32.

الفصل الثاني

نحو النص عند عبد القاهر الجرجاني

المبحث الأول : أدوات التماسك النحوي:

احتوت المدارس النّحوية العربية، كلّ ما تفرّق من الآليات اللسانية، التي بإمكانها أن تؤسس لفقه كلّ أنواع النصوص المكتوبة والمنطوقة وحتى العامية منها، باعتبارها وسيلة خطابية، فقد ذهب أحمد مؤمن إلى أنّه بفضل الدراسات النّحوية التي بلغت عند العرب مستوى علمي رفيع ونضج فكريّ مستنير، حيث جمعت بين النّقل والعقل والوصف والتحويل[1]، تمّ استيعاب خفايا النّص وتركيز كلّ محاوره، ظهر ذلك واضحا من خلال عملية التفكيك التي تخلّلت الجمل منفردة بحسب المعيارية النّحوية وكذا النّظرة الجديدة التي جاء بها عبد القاهر الجرجاني، حين ركّز على جعل النّحو بأدواته خدما للمعنى الكلّي داخل النّص.

إنّ نحو النّص لم يكن بالنسبة للفكر العربي اللساني منهجا جديدا، فالتراث العربي ملئ بالدراسات النّصية التي دار أكبر قسط منها حول القرآن الكريم كأعظم نص عالجته دراسات كثيرة يقول يوسف حسين بكار:« ولأنّ عبد القاهر انتبه إلى وحدة أرسطو وأفاد منها في نظريته في النظم التي كان البحث في إعجاز القرآن

[1] ينظر اللسانيات النشأة والتطور أحمد مؤمن ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007 ص44 .

محورها وعليه دارت في أكثرها»[1] ممّا أنتج نظريات نصية، كان لها قدم السبق في معالجة الوحدة العضوية للنص الذي أصبح مدار بحث المدارس الغربية الحديثة، غير أنّه بالنظر لما عالجته مختلف الدراسات النّصية القديمة والحديثة بخصوص بحث مسألة نحو النّص، تبقى نظرة بعض الباحثين باهتة؛ لأنّ التعامل مع القديم بصفة الأحادية والتعصّب لقضاياه دون مراعاة الجديد بقواعده لا يفتح المجال الرّحب أمام البحث النّصي، الذي من شأنه أن يخلق معايير تبعث على تحقيق المراد من النص والمقصود غير الظاهر منه.

كما أنّه لا يمكن أن نتوصل إلى فاعلية النّص وطرح مزاياه الظاهرة والخفيّة المنسوجة عبر جمله إلاّ بوسائل لم تخرج عن مدار بحث علماء النّص، هذه الأدوات تتوزّع داخل النّص منها ما مزيته الرّبط، التعليل، الاستفهام، الاستدلال، الإحالة...

لقد أثيرت قضية الوحدة لدى قدمائنا بقوة، حيث أنّهم ذهبوا إلى أنّ الأقوال المتناثرة لدى عبد القاهر الجرجاني "بالدلائل"، لا تنمّ عن تجسيد الرؤية الحديثة لمفهوم الوحدة النصية؛[2] لأنّ إجراءه النصي لم يتعد حدود الجملة والبيت والبيتين يؤكد ذلك أحد

[1] بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث يوسف حسين بكار دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ط2 1983 ص330.

[2] ينظر: المرجع نفسه ص304.

المحدثين بقوله:« أقصى ما يصل إليه إدراكه للوحدة لا يتعدّى ما يربط بين مجموعة الأبيات التي تدور حول فكرة الوحدة». [1]

نحاول من خلال كتاب الدلائل وصف وتحليل بعض هذه الأدوات التي من شأنها أن تقرّب لنا رؤية عبد القاهر الجرجاني[*] الجديدة في مجال الاستعانة بالنّحو في خدمة النّص.

الفصل والوصل:

لقد شغلت قاعدتا الوصل والفصل بال قدمائنا باعتبارها آلية عينية لازمة في أداء الوظيفة المعهودة في كلّ أنواع الخطابات الممارسة بين المتعاملين، عبر جمل تتحكّم فيها المعيارية النّحوية والبلاغية، فإنّه لا يسترعينا الوقوف عند جمل

---

[1] دراسات في الشعر والمسرح بدوي محمد مصطفى دار المعرفة القاهرة ط1 1960 ص21 .

[*] هو الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ولد بمدينة جرجان وهي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان ولا تعلم سنة ولادته تحديدا إلا لأنه يترجح مولده في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس. كان فقيها على مذهب الشافعي ومتكلّما على طريقة الأشعري أحذ النحو عن الشيخ أبي الحسن بن محمد بن الحسن الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي درس عليه كتاب " الإيضاح" لأبي علي الفارسي القاضي علي بن عبد العزيز بن الحسين بن علي الجرجاني ومن بين تلاميذه: أبو زكريا يحي بن علي بن محمد بن الخطيب التبريزي علي بن محمد بن علي الفصيحي أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري. اطلع على المذاهب الدينية فأتقن الشافعية وبرع في فلسفة الأشاعرة وكان ملمّا بالدراسات المنطقية وممّا يدلّ على ثقافته الواسعة نقله في كتبه عن كثير من العلماء كسيبويه والجاحظ وأبي علي الفارسي وابن قتيبة وقدامة بن جعفر والقاضي الجرجاني اعتبر رائدا في تاريخ البلاغة وتمكّن من وضع نظريته في علم المعاني وخص بها كتابه الدلائل وعلم البيان خصّ بها كتابه أسرار البلاغة. ومن مؤلفاته: دلائل الإعجاز أسرار البلاغة الرسالة الشافية إعجاز القرآن (المعتضد) المغني شرح الإيضاح لأبي على الفارسي التكملة العوامل المائة الجمل شرح الجمل لنفس المصنف. وفاته: توفى رحمه الله بجرجان سنه 471هـ أو 474 هـ الموافق 1078م أو 1082 م.

متناثرة دون أن نعقد بينها خيط التلازم والتآلف في إطار ما تستدعيه من تقلّب للمعنى سواء الظاهر منه أو الخفيّ، أو المفصول منه عن بعضه بعضا في إطار النص سواء منه المؤكّد بالأدوات أو المنشأ عن طريق الاستئناف، والتكرار، ممّا تفطّن إليه عبد القاهر الجرجاني، حيث أورد قائلا: « إنّ العلم بما لا ينبغي أن يضع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحـــدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، وممّا يتأتّى لتمام الصواب فيه إلا لأعراب الخلّص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة ».[1]

فمسألة العلم بحسبه تقود إلى التّنقيب عن الجزئيات المتضاربة بين مختلف الجمل، كما أنّه ليس بالسهولة إدراكها، فهي رغم تناثرها، ليست في متناول العامة، بل يتمّ تحصيلها من طرف أصحاب البيان، الأعراب الخلّص، المطبوعين على الفصاحة؛ فمسألة توالي الجمل وانتشار تقارب معانيها عبر خطّيات مستأنفة، يستدعي بحث أسرارها التي تتأتّى من خلال جمع معانيها لتؤلّف المقصد الشامل الفعلي من الكلام، ممّا يخلص له، أنّه كان من البداية يشير إلى النّظرة النّصية عبر انتقاله من الجملة إلى الجمل وتأكيده على ضرورة التركيب والتأليف في إطار استعمال النّحو كأداة لا يستغنى عنها في النّص.

[1] دلائل الإعجاز أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني قراءة وتعليق محمود محمد شاكر المؤسسة السعودية مصر ط2 1992 ص222.

فالعطف من الأدوات النحوية، تتجسّد وظيفته في بيان إشراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم أو الربط أو الترتيب أو التخيير أو التقسيم [1] الموجود في ضروب الجمل، كما أنّ فائدته لا تحصل دون العلم بأسراره والهدف الذي وضع له، فتشابك الجمل واستدعاء بعضها للبعض، تتكفّل به علامات، من شأنها أن تجعل رصيدنا شاملا، من حيث المفهوم المتاح للفهم وغيره الافتراضي المتحكّمة فيه مختلف تناغمات الحال والأحوال؛ لأنّ الوصل شرط أساسي في تحريك مسار كل المتواليات النّصية، كما أنّه من الصّعب أن نجعل المعاني تتألف عبر جمل خالية من أدوات، تعقد من خلالها الصلة بين أطـــــراف المكونات الأساسية للنحو، المتشكّلة فـــي العملية الإسنادية (مبتدأ، خبر، فعل، فاعل).

يذهب شكري المبخوت إلى أنّ "الفروق" و"الوجوه" و"الخصائص" تمثّل معاني حيث يقصد بها المعاني النّحوية من قبيل التقديم والتأخير، الحذف، التوكيد... عند وضعها الموضع الصحيح، فالرّصيد من المعاني عنده، لا يمكن التعامل معه دون الحكم عليه في

[2] ينظر اللغة والدلالة معجم في اللغة العربية ووظائفها وتقنياتها التعبيرية مع مناهج تطبيقية وفق المنهجية الجديدة يوسف مارون المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس لبنان 2007 ص218.

إطار الرّصف والتركيب الكلّي داخل السياق المحصل فيما أسماه بالنظم. [1]

العطف في المفرد :

تعتبر مسألة الرّبط بين مختلف التآليف المكوّنة في جمل ومتواليات، الرّكن الذي تنازعت حوله المدارس النّحوية العربية، كان ذلك من منطلق بحث جميع التشكيلات الجملية المنشأة في مختلف أجناس الخطاب، فالجملة العربية استندت في بناءها على مقوّمات أساسية شكّلت محورا لا يمكن في أيّ حال أن يستغنى عنه، كما رأوا أنّه من الضرورة فكّ الغموض الذي استوعبته، فبدأوا يتعاملون مع الرّبط في الجملة من باب الاشتراك اللفظي المسجّل في أداء الدلالة المنوطة به، حيث ظهرت عملية المشاركة في الاظهارات النّحوية السائدة عبر مختلف الجمل الفردية، فعطف المفرد على المفرد ظهر بيانه من خـــلال مشاركة العنصر الثاني العنصر الأول في الإعراب سواء في الرّفع أو النصب، حينئذ يكون حكمهما الاشتراك في الحكم الإعرابي ظاهرا لا نزاع فيه.

هذه الإشعاعات أكدّها عبد القاهر الجرجاني، الذي اعتمد على توقيع أمر الرّبط في الجمل بأنواعها، حيث أطلعنا على مسعى مهم، كـــان بمثابة الانطلاقة الأساسية في توطيد معلم، لا تعدو عنه مختلف الدراسات اللسانية مهما اختلفت وتباينت رؤى أصحابها لكون أنّه استشف أنّ اللغات البشرية، تربطها علاقات بنائية وضمنية تتحدّد عن طريق مثل هذه الأساليب المختلفة وإن كانت

[1] الاستدلال البلاغي شكري المبخوت دار الكتاب الجديد المتحدة ط2 2010 ص(38 39).

تختلف تسمياتها من لغة لأخرى يقول: « اعلم أنّ سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرّف حالها. ومعلوم أنّ فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنّه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب، نحو أنّ المعطوف على المرفوع بأنّه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنّه مفعول به أو فيه أو له ». [1]

تشعّبت الرؤى في تفصيل هذا الكيان اللغوي، الذي فرضته جميع الألسن، لما له من علاقات قوية في تسجيل حضور منقطع النظير في ربط الآليات التي تتحكّم في انسجام المعاني وتماسكها، فالرّبط بين مختلف الجمل، لا يتأتّى دونما اعتماد على وسائل لغوية، تجعل التابع مرتبط بالمتبوع في الحركة والحكم؛ كما أنهاّ المدار الذي تنضوي تحته جميع الأبعاد المحقّقة للفعل المنجز.

فالتابع إذا كان مرفوعا أو منصوبا؛ فإنّه نتيجة حاصلة لمتبوع حقيقي فرض عليه العلامة الإعرابية ثم الحكم ثانيا، فأصبحت عملية المشاركة بينهما حجّة نحوية ، تستدعيها آلية الكلام المركّب المفيد المتواضع عليه ومنه يتّضح؛ أنّه مهما يكن فإنّ ضرورة الارتباط بين مكوّنات الجملة، من حيث قواعد إسناد بعضها على بعض، تتحكّم فيها جميع المكوّنات المشكّلة لها، دون إهمال ما يدعى عند قد مائنا بالفضلات، يكون ذلك عن طريق وسائل الرّبط باختلاف تسمياتها من حروف العطف إلى حروف أخرى، ممّا يظهر أنّ

[1] دلائل الإعجاز: الجرجاني ص(223222).

دور الإعراب ينجلي في تحليل العبارات وفهم الجمل المكونة للتراكيب المقصودة بتكوين وحدة المعنى. [1]

إنّ الوحدة المتحقّقة في إطار متوالية من التأليف، لم تأت عبثا وإنّما تجلّت من خلال ما فرضته هذه الأدوات من تعالقات سواء منها الداخلية المستطردة في معانيها المختلفة أو تلك التي حقّقها التشكيلات الخطية .

يتبيّن أنّ العطف كوسيلة من وسائل التماسك النّصي، لا يمكن الاستغناء عنها؛ لكونها أداة تشترطها الجملة بأنواعها (البسيطة، المركّبة)، كما أنّه لا يمكن أن تتحوّل الوظيفة التي تؤديها إلى أداة أخرى، فالمسعى الأساسي الذي هدف القدامى تحقيقه في هذا الباب، أنّهم تحكّموا في ضبط الأطر العامة والخاصة لمختلف ما جاء في تركيبات الجملة، بمختلف أحرف العطف وأدوات الاتساق والظروف والأحوال وبعض التعابير الظرفية أو الحالية[2] (الواو، الفاء، ثم، حتى، أو، أم، بل، لكن، لا) وأهمّها:

---

[1] ينظر ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم أحمد سليمان ياقوت ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- ط3 1983 ص45.

[2] ينظر التداولية اليوم علم جديد في التواصل آنروبول جاك موشلار تر: سيف الدين دغفوش محمد الشيباني دار الطليعة للطبعة والنشر بيروت -لبنان- ط1 2003 ص169.

الواو: لمطلق الجمع مثل قوله تعـــالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ**﴾ [1] فنوح أسبق من إبراهيم وقوله تعالى:﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ** ﴾،[2] فإنجاؤه صاحب إنجاء أصحاب السفينة.

الفاء: للترتيب والتعقيب كقوله تعالى:﴿ **أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ** ﴾[3] فالإقبار بعد الإماتة بفترة قصيرة.

وثم: للترتيب والتراخي كقوله تعالى:﴿ **أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ** ﴾ فإنّ الإنشار بعد الإقبار بزمن طويل. [4]

فالنّظر في الآيتين الكريمتين، ينشأ لدينا شعورا لغويا، من شأنه أن يفتح أمامنا انشغالا بأبعاد مستمرة في مجال ترقّب التحوّلات التي قد تطرأ على النّص من جراء ما تحدثه هذه الأدوات من تفاعلات في بنيته ومضامينه؛ لأنّها روحه التي تجعله نسيج متكامل، تتحقّق فيه من خلالها عملية التواصل البشري، فلولاها ما توصل مفسرو آي القرآن الكريم إلى تحصيل معنى الجمع بالواو في الآية المذكورة ولما حقّقوا الترتيب والتعقيب لولا الفاء.

---

[1] سورة الحديد الآية/ 25.

[2] سورة العنكبوت الآية/ 15.

[3] سورة عبس الآية/ 21.

[4] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مجدي وهبة كامل المهندس ص250.

الجمل المعطوف بعضها على بعض:

ينتقل عبد القاهر الجرجاني إلى تحديد نوع آخر من الجمل المعطوف بعضها على بعض، فيذهب في ذلك مذهب سيبويه بيّن أنّ« أولاهما: ما يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كانت على هذا النسق؛ فإنّ الحكم الناتج يكون حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موقع المفرد حتى تكون واقعة موقع المفرد، أمّا في حالة وقوع الجملة الأولى موقع المفرد؛ فإنّ عطف الثانية يكون جاريا بحسب عطف المفرد على المفرد، في هذه الحالة يؤكّد أنّ الحاجة إلى الواو ضرورة ماسة والإشراك بها في الحكـــم جليّ وموجود بدرجة قصوى، يورد لذلك مثالا إذ يقول : "مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح " فإشراك الجملة الثانية في حكم الأولى بدا واضحا جليا، كونها في موضع جر بأنّها صفة للنكرة » .[1]

نبّه إلى أنّ الجملة إذا كان للمعطوف عليها شأن في الموضع الإعرابي؛ فإنّ ورودها بهذه الطريقة، يؤكّد أنّ الحكم الحاصل، يكون حكم المفرد، فهي تكسب هذه الخصلة النّحوية إذا وقعت موقع مفرد، عكس ذلك، إذا وقعت الجملة الأولى موقع مفرد، فالعطف بالجملة الثانية يجري مجراه، في هذه الحالة فالواو ضرورة لابدّ منها، كما في المثال السابق الذي أورده.

[1] دلائل الإعجاز: الجرجاني ص(222223).

أمّا عن الضرب الثاني، فقد حصره في عطف الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى، مثال ذلك: زيد قائم، وعمرو قاعد، العلم حسن والجهل قبيح، فأمر العطف هنا بالواو لا يمكن أن يحدّد بأنّ الجملة الثانية أشركت الأولى في إعراب وجب لها بأيّ شكل من الأشكال، يقول عبد القاهر:« وذا كان كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف والمغزى منه، ولم يستو الحال بين أن تعطف وبين أن تدع العطف فتقول " زيد قائم، عمرو قاعد" بعد أن يكون هنا أمر آخر معقول يؤتى بالعاطف ليشرك بين الأولى والثانية معـــني العطف بالواو والفاء وثم » .[1]

معاني العطف بالواو والفاء وثم:

على غرار "الواو" توجد حروف عطف أخرى، أوردها النحاة العرب في مواضع كثيرة، تفيد معاني متباينة إذا دخلت على أي تركيب اتسم بسماتها "فالفاء" باعتبار إلصاقها تلزم على متوالية الكلام الترتيب المباشر؛ أي أنّ الجملة المستعملة فيها يفهم المعنى بها مباشرة، لا تراخي فيه و لا تأن، عكس الحرف "ثمّ"؛ فإنّ السامع صاحب السليقة يحس أنّ هناك تقطّعا في مسار المتوالية المنطوقة، أي هنالك وقتا معينا بين تركيبها الأول والثاني، حتى وإن كان قصيرا، المعنى أن التراخي في الأداء وفي انتظار حصول المعنى، مرتبط بوقت معين، تظهره

[1] المصدر السابق ص 223.

صفة التعاقبية، أمّا الحرف الثالث "أو" فيجعل الفعل متجه لأحد الفعلين، فلا اشتراك ولا تلازم يظهره "أو" على توالي الفعلين.

يذهب صاحب الدلائل إلى ذلك بقوله: « واعلم أنه إنّما يعرض الإشكال في" الواو" دون غيرها من صروف العطف، وذاك لأنّ تلك تفيد مع الإشراك المعاني... »[1] فظاهر المعنى هنا حرف "الواو" لا تنحصر وظيفته في مجال تحديد معنى مقصود فقط بل تتعدّى ذلك إلى تفكيك وتحليل المتواليات النظمية المنسوجة، عكس حروف العطف الأخرى، التي من شأنها أن توجب المعنى المقصود مباشرة مثل: «" الفاء" توجب الترتيب من غير تراخ و "ثم" توجبه مـــع تراخ و "أو" تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه، فإذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة فإذا قلت: "أعطاني فشكرته" ظهر بالفاء أن الشكر، كان معقبا على العطاء ومسببا عنه وإذا قلت: "خرجت ثم خرج" أفادت البعدية، وأنّ مهلة وقعت بين الخروجين، وإذا قلت يعطيك أو يكسوك دلت "أو" على أنه بفعل واحد منهما لا بعينه ».[2]

أي أنّه، مهما تعدّدت معاني العطف، يبقى حرف "الواو"، أساس الربط؛ لأنّه يسعى إلى تحقيق الحكم الإعرابي داخل التركيب، فما إتباع الحكم الإعرابي للتركيب الثاني للأول إلّا الدليل على ذلك،

---

[1] المصدر السابق ص 224

[2] المصدر نفسه ص224 .

كقولك أتاني محمد وعلي فالواو لم تفد إلاّ إشراك علي في الإتيان لمحمد، فحصل الجمع، وذلك لوجود قرينة واحدة بينهما أفادت الإشراك، وكأن هناك تزاوجا في المعنى بينهما، يقول عبد القاهر: « وليس" للواو "معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي اتبعت فيه الثاني الأول، فإذا قلت جاءني زيد وعمرو لم تفد بالواو شيئا سوى من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبته لزيد، والجمع بينه وبينه، ولا يتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه» .[1]

إنّه بإمعان النّظر في هذه الحروف المستعملة، يظهر للوهلة الأولى أنّها ذات أهمية منقطعة النظير في أداء الرّسالة النّصية التي تقتضيها ضروب الكلام المختلفة، غير أنّها تختلف في نسبة الأداء داخل نظام النص، فمثال : محمد وعلي الذي أوردناه فيما يخص الإتيان، فهما شريكين أو هما كالنّظيرين بحسب ما جاء به الجرجاني، مما يشعرنا أنّ حرف "الواو"، رابط لا حيلة لمؤلف الكلام عن التروع عنه، عكس بعض الحروف الأخرى التي قد تعوض بحسب تقارب المعنى المؤدى. [2]

في حالة ورود فعلين لفاعلين، كما في المثال زيد قائم وعمرو قاعد؛ فإنّه لا حكم للواو بالجمع دون أن نلمس العلاقة بين الاثنين،

---

[1] المصدر السابق ص224 .

[2] ينظر المصدر نفسه ص225.

أي أنّ السامع إذا عرف حال الأول، عني بمعرفة حال الثاني. هنالك نشعر بأنّ "الواو " أفادت معنى آخر تعدّى اعتبارها كحرف ربط فقط، يقول صاحب الدلائل: « ثم إنّ الذي يوجبه النظر والتأمل أن يقال في ذلك إنّا وإن كنا قد قلنا: زيد قائم وعمرو قاعد فإنّا لا نرى هاهنا حكما نزعم أنّ "الواو" جاءت للجمع بين الجملتين فيه فإنّا نرى أمرا آخر نحصل معه على معنى الجمع وذلك أنا لا نقول "زيد قائم وعمرو قاعد" حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكون كالنظيرين والشريكين، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني، يدلك على ذلك أنّك إذا جئت فحفظت على الأول شيئا ليس منه بسبب ولا هو مما يذكر بذكره ويتصل حديثه بحديثه، لم يستقم فلو قلت: خرجت اليوم من داري، ثم قلت" وأحسن الذي يقول بيت كذا"، قلت ما يضحك منه، ومن هنا عابوا أبا تمام في قوله:

لا والذي هو عالم أنّ النّوى صبر و أنّ أبا الحسين كريم. (*)

لأحدهما بالآخر وليس يقتضى الحديث بهذا الحديث بذاك ».(1)

إنّ المشاكلة والتعلّق عناصر أساسية، اعتمدها عبد القاهر في تأليف الكلام وضبط مبانيه ومضامينه، فلو أنّك قلت: زيد طويل القامة وعمرو شاعر، فالرّبط بين طول القامة والشعر بعيدين كلّ

(*) ديوان أبو تمام ص51.

(1) دلائل الإعجاز: الجرجاني ص225 .

البعد من حيث المسند والمسند؛ لأنّ الحكم بينهما يكون لمبتغى واحد وهو الحكم والمحكوم عليه، ليس كما أنّك قلت: عمرو شاعر وزيد أديب، فإنّ انضمام المعاني في النفوس وتقارب أنغام فهمها، أساس للتقارب والتعلّق، كما أنّ شأن التميّز الذي تبديه مباني النص من جراء تفاعلاتها مع هذه الأدوات تسيطر بشكل واسع على توجيه المعاني المتناثرة لخدمة الكلّ النّصي« وجملة الأمر أنّها لا تجئ حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقا لمعنى في الأخرى ومتضاما له...»،[1]يشير النّص إلى قوة الارتباط الموجودة بين جزئيات المعاني الملفّقة معجميا؛ لأنّ تقارب المفردات المعجمي يفرض تتبّع نسقا معينا من شأنه أن يركّز ما تبعثر من معاني في خلاصة ذات مقصدية شاملة يحكمها المعنى المعجمي والقواعدي (الشكلي)،[2] يوضح عبد القاهر فيقول: « مثل أنّ " زيدا" و"عمرا" إذا كانا "أخوين أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة، كانت الحال التي يكون عليها أحدها، من قيام أو قعود أو ما شاكل ذلك، مضمونة في النّفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك وكذا السبيل أبدا، والمعاني في ذلك كالأشخاص، فإنّما قلت مثلا: " العلم حسن

(1) المصدر السابق ص225 .

(2)ينظر دلالة السياق ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية – مكة المكرمة – ص279.

والجهل قبيح"؛ لأنّ كون العلم حسنا مضموم في العقول إلى كون الجهل قبيحا ». [1]

إنّ ما ذهب إليه عبد القاهر، بخصوص الارتباط القبلي للمعاني في العقول، يتأتّى انطلاقا من تضافر مسبّبات من شأنها أن تنطلق من علاقات نسبية أو تحكمها أحوال المشابهة، تجسّدها الجملة فيكون للصورة القبلية الأثر التي يميّز معانيها، ممّا يجعل الجملة تسهم بشكل فعّال في أداء المعنى المراد، الذي ينشأ بدوره رؤية لدى المتلقّي على أنّ تعاضد متواليات الجمل التي تستعمل مختلف الأدوات النّحوية تشكّل تركيبا متّسقا ومنسجما، كان التضام الفكري المسبق أداته ونواته الأولى لكون أنّ مختلف المعاني تتضمن بعضها بعضا.

عطف الجمل بالواو:

لقد ركّز عبد القاهر الجرجاني رؤيته في تحديد استعمال أدوات الربط بين الجمل على قضية مهمّة كانت محل رؤية سابقة من النحاة وعلى رأسهم سيبويه، تمثّلت في إسناد المعنى إلى أصل واحد، باعتبار أنّ منطلق الكلام ومرجعيته واحدة، وكأنّه يعقد صورة قويّة ذات علاقة وطيدة بين ناطق اللغة وبين المنطوق في ذاته، ممّا يسوق إلى أنّ النظرة الدوسوسيرية ذات تقاطع مع صاحب

[1] دلائل الإعجاز الجرجاني ص226.

نظرية النظم، لاسيما فيما يتعلّق بثنائية اللغة والكلام، التي تركّزت حولها الدراسات اللسانية الوصفية الحديثة التي حملت في رحمها لسانيات النص أو ما يطلق عليه بنحو النّص. [1]

إنّ قوة تآلف الجمل، حسب ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني تتأتّى على أساس الكلام المنطوق، المنسوج بألفاظ معجمية مترابطة عن طريق وسائل لغوية، تعمل الأداة فيها دور الربط، كما يعمل النّحو فيها دور التركيب الكلّي لتأدية القصد المراد، ممّا يزيد في جمع المعنى وانصهاره يقول:« واعلم أنّه إذا كان المخبر عنه في/الجملتين واحد كقولنا : " هو يقول ويفعل، ويضر وينفع، ويسئ ويحسن، ويأمر وينهى، ويحل ويعقد ... وأشباه ذلك، ازداد معنى الجمع في " الواو " قوة وظهورا، وكان الأمر حينئذ صريحا.» [2]

إنّ إحالة الفعلان إلى ضمير المخاطب، مهما تشكّلت أزواجها الحدثية بحسب الأمثلة التي أوردها؛ فإنّها لا تخرج عن إطار هام هو إرجاع المعاني المتفرّقة إلى مخبر عنه واحد، لم يكن لهذا الإرجاع بروزا فيه لولا العطف الذي حققّه" الواو"، فذكر المثال دون "الواو" يدفع إلى تحقيق معنى واحد منهما، كما في المثال: "هو يضر وينفع" فقد أفدت "بالواو" أنّك أرجعت للضمير وأوجبت له الفعلين جميعا، وجعلته يفعلهما معا، ولو ذكرت المثال من غير

---

(1) http://www.voiceofarabic.net.

(2) دلائل الإعجاز: الجرجاني ص 226 .

"الواو" لم يجب ذلك، بل قد يجوز أن يكون قولك"ينفع"، رجوعا عن قولك "يضر" وإبطالا له. [1]

كذلك الأمر بالنسبة للصلة فالاقتران والاشتباك يزدادان بقوة إذا وقع الفعلان في مثل هذا في الصلة، حتى لا يتصوّر تقدير إفراد بعضهما عن الأخر، كما المثال الذي جاء به عبد القاهر الجرجاني يقول:" العجب من أنّي أحسنت وأسأت "و" يكفيك قلت وما سمعت" و" أيحسن أن تنهى عن شئ و تأتي مثله ؟" وذلك أنّه لا تشتبه على عاقل أن المعنى على جعل الفعلين في حكم فعل واحد ».[2]

ومن البين في ذلك قوله:

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم أن نكفّ الأذى عنكم وتؤذونا.[*]

الصفة والتأكيد:

يعتبر النعت قرينة تخصيص أو تقييد؛ لأنّ الغرض من الوصف فيه هو إدراك التخصيص والتفضيل، فإن كان معرفة كان المبتغى منه الوصف؛ لأنّ معنى الاشتراك فيه يكون واضحا من جراء التشابه المألوف في المسمّيات والأشياء، ألا ترى أن المسمين بعمر ونحوه كثير فإن قلت:(جاءني عمرو) لم يعلم أيهم يريد، أما إن قلت:

---

[1] المصدر السابق ص226.

[2] المصدر نفسه ص 226.

[*] شعر الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ديوان الحماسة للتبريزي ص 121.

(العالم أو الأديب ...) فقد ثبت التخصيص عن الغير، أما إن كان الاسم نكرة، كان الثابت من الوصف التفصيل، فإذا قلت:(جاءني رجل)لم يكن التحديد ثابتا، أما قولك: (رجل عالم) فقد فصلت وأبنت عنه دون غيره بالوصف الثابت.

كذلك التوكيد فقرينته مثل البدل من حيث أنّ الفائدة منها " التحقيق وإزالة التجوّز في الكلام، قال تعالى:﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**﴾،[1] وإنّما كان جبريل وحده...، وقال تعالى: ﴿ **فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ**﴾،[2] فزال هذا المجاز الذي كان في قوله تعالى: ﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ** ﴾وجود التوكيد فيه. [3]

الإحـــالة:

رغم الدور الكبير الذي تلعبه الإحالة في الربط بين الجمل والتراكيب التي تأتلف منها النصوص، لم يورد عبد القاهر الجرجاني لها بابا كما أورده للفصل والوصل، غير أن متتبّع ما جاء في الدلائل حينما مثّل قائلا: "جاءني زيد وهو مسرع " فمن ناحية الدلالة واللفظ هي نظير قولهم: جاءني زيد وزيد مسرع.

أوضح ذلك مؤكّدا أنّ الضمير هو أغنى عن تكرير زيد، يقول: وذلك أنّك إذا أعدت ذكر زيد، فجئت بضميره المنفصل

---

[1] سورة آل عمران الآية 5.

[2] سورة الحجر الآية/ 30.

[3] ينظر دلالة السياق ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ص(468469) .

المرفوع، كان بمنزلة أن تعيد اسمه صريحا، كأنّك تقول جاءني زيد وزيد مسرع.

إن المثال الذي ذكرناه في الفصل الأول لهاليداي ورقية حسن: اغسل، وانتزع نوى ست تفاحات، ضعها في صحن مقاوم للنار. فالضمير في "ضعها" هو الرابط الذي يربط الجملة الثانية بالأولى في وحدة متكاملة تفيد العلم بطلب معين، وإذا وضع المتكلّم في المثال كلمة تفاحات بدلا من الضمير "الهاء" فالرابط هنا هو تكرار كلمة "تفاحات" عوضا عنه.

بالرغم أنّ مصطلح الإحالة لم يرد باللفظ المعروف لدينا عند الجرجاني، إلّا أنّه من خلال المثال المورد، تبين لنا ألّا فرق إطلاقا بين ما جاء به عبد القاهر الجرجاني وهاليداي ورقية حسن، وأبعد من ذلك فقد ذهب صاحب الدلائل إلى أنّ مفهوم الإحالة تخطّى كونه أداة ربط فقط، بل استخدم في تحسين الكلام. [1]

فالإحالة بواسطة الضمير تعطي الكلام قوة وتماسكا وترابطا؛ لأنّها تبعد عنه التكرار وتجعله خاليا من التبعثر، فهي بهذا الشكل تضفي عليه رونقا خاصا وسحرا نافذا، فتجعله نسيجا وحده يسترق الأسماع وتشتهي مضامينه العقول والبصائر، ممّا يجعلها ركنا أساسيا في دعم الفهم و تخليد النصوص حتى من وجهة تناصيتها، ما

[1] ينظر في اللسانيات ونحو النص إبراهيم خليل دار الميسرة للنشر والتوزيع –عمان – ط1 2007 ص227 228 .

يطلق عليه لدى جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) بترحال النصوص وتداخل النصوص؛ [1] لأنّه قد تحيل عناصر نص ما إلى عناصر أخرى داخل نص آخر ليست لغتهما واحدة. كما نودّ الإشارة إلى أنّ المحال إليه يبعث بالضرورة إلى إحالة جميع علامات اللغة إلى مفاهيم مجردة وكيانات أو هويات متخيّلة ،إضافة إلى إحالتها إلى الموضوعات المادية أو الطبيعية. [2]

التقديم والتأخير:

تعتبر قضية التقديم والتأخير من المباحث التي استهوت البلاغيين، كونها تبحث في بناء الجمل، وصياغة العبارات، فلا يمكن حصر أسرار البلاغة ولطائفها دون تحقيق مزايا ما تحوي التراكيب من تفاعلات داخلية وحسّية تروق السامعين، حتى وإن اختلفت ألسنتهم يقول عبد القاهر في التقديم والتأخير:« هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه،

[1] ينظر معجم المصطلحات في علم العلامات السميوطيقا دانيال تشاندلر تر: شاكر عبد الحميد أكاديمية الفنون وحدة الإصدارات دراسات نقدية 2000 ص133.

[2] ينظرعلم النص جوليا كريستيفا تر: فريد الزاهي مراجعة عبد الخليل ناظم دار توبقال للنشر-المغرب- ط1 1997 ص22 .

ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان...» .[1]

إنّه لا حيلة لمتأمل أن ينصرف قاطع النظر عن هذا التأليف الدقيق الذي أورده عبد القاهر، حين عدّ "العناية والاهتمام" قوام لاعتماد على التقديم والتأخير،[2] كما نبّه أيضا إلى مسألة لا يمكن لأيّ كان من أرباب البيان، أن ينفلت من أماراتها وتجذّرها في تشكيلات ما أنجز من متواليات جملية تتألف في نصوص، مختلفة في بيانها، تبدي في غاياتها الإبداع والحسن البلاغي المنقطع النظير، فالتقديم والتأخير، لديه يندرجان في ركن واحد، تتألف به أنسجة النصوص وتكسب الملاحة والحسن، فلا يحيد صاحبهما عن كسب اللطائف، كلما راقت نفسه إليهما وارتقت بلاغته بهما، فتحويل الألفاظ عن مواضعها، وصرف النظر عن بعضها ووضع بعضها مكان بعض، من أنفس ما توصل إليه علماء البيان، إذن فالتقديم والتأخير رغم تباينهما في ضروب الكلام تتحكم فيهما قضية الإسناد من الوجهة اللغوية وقضية البيان من الوجهة البلاغية.

فإذا نظرنا إلى الجملة التي وقع فيها التقديم، فإنّنا نرى أنّ أهمّ أجزاءها قدم، كونه هو المهم فيها أو لغاية ثانية تتعلّق بعناية

---

[1] دلائل الإعجاز ص127.

[2] مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني صابر الحباشة دار صفحات للدراسات و النشر ط1 2011 ص137.

السامعين، لذلك اعتبر بعض علماء البلاغة العناية والاهتمام أصل كلّ تقديم رغم تحذير عبد القاهر من الوقوف عندهما دون التنقيب عن الاهتمام و بحث أسباب العناية. [1]

يذكر صاحب المثل السائر ضياء الدين بن الأثير، أنّ التقديم ضربان، ضرب يختصّ بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخر المقدم أو أخر المؤخر لتغير المعنى، وضرب يختصّ بدرجة التقدّم في الذكر، لاختصاصه بم يوجب له ذلك، ولو أخر لما تغيّر المعنى.. [2]

إنّ إمعاننا النظر في هذه المسألة يستدعي تقريب أوجه التآلف الموجودة بين النقيضين، بحيث أنّه لا يمكن أن نعقد قرينة في تحديث ضروب الكلام لو أنّنا أهملنا جزءا منهما؛ لأنّ التعاكس الموجود بينهما، يؤدّي بالضرورة إلى التماسك النّصي، فالألفاظ لا يمكنها أن تخرج عن نطاق آخر غير التعبير عن معانيها، كما أنّ المعاني لا نور لها دون اللفظ السائد عن طريق الخط أو اللسان.

هذا ما يسوقنا إلى أنّ مسألة التقديم، بحسب ما أورده صاحب المثل السائر تنطبع بخصوصية هامة تهدف إلى تحكّم اللفظ في المعنى ودلالته عليه، حتى وإن اعتمد المتكلّم تقديم المتأخر وتأخير المقدّم،

---

[1] ينظر دراسات بلاغية بسيوني عبد الفتاح فيود مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط2 2006 ص51.

[2] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين ابن الأثير قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة دار نهضة مصر الجزء الأول ط2 1973 ص216.

أمّا الصنف الثاني فإنّه ينجلي في تحديد الدرجة في الذكر، أي أنّه لا يمكن أن يحول عن مرتبته، بحكم اختصاصه ووجوب ذكره.

لقد اهتم عبد القاهر بالضرب الأول، الذي يؤدّي التقديم فيه إلى تغيير الدلالة، لأنّه تغيير يتمّ داخل الجملة التي تتحكّم فيها القواعد النحوية، كلّ هذه الأشكال رصدت في دلائل الإعجاز بأكثر إفاضة واستطراد، فقد وردت ابتداء من الحديث عن التقديم بهمزة الاستفهام، ثم التقديم بعد النفي، وعنه في الإثبات وما تبعهن وتقديم ألفاظ العموم على النفي، والنفي على ألفاظ العموم.[1]

يخضع عبد القاهر الجرجاني التقديم والتأخير لقصدية مرسل الخطاب قبل عملية التلفظ، ممّا يعطيه الحقّ في التصرّف في توجيه المعنى على مستوى الخطاب، فيمكنه أن يوجه ضربا من الأداء المعنوي لزيد بدلا من عمر بعقد حكم مسبق له، يصدق القول على تقديم خبر المبتدأ، والمفعول مع الفاعل، دون فساد المعنى المقصود، لذلك فالنّص المنطوق لدى عبد القاهر الجرجاني تحتويه القواعد النّحوية داخل المنظومة، التي تعتبر أساسا ضروريا في تعليق المعاني أو إثباتها بالمقصدية، ممّا جعل عبد القاهر يفرّق بين التقديم والتأخير بقوله « تقديم يقال أنّه على نية التأخير، وذلك في كلّ شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، و في جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك: " منطلق زيد" و"ضرب عمرا زيد"،

[1] دراسات بلاغية بسيوني عبد الفتاح فيود ص55.

معلوم أن "منطلق" و"عمرا" لم يخرجا بالتقديم عما كان عليه، من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك، وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله كما يكـــون إذا أخرت ».[1]

لقد اهتمّ القدامى بموضوع تغيير الرّتبة في الكلام بالتقديم والتأخير وذلك محاولة منهم لجعل الكلام غير محدود، وكأنّ النظرة النّصية رغم عدم ورودها بمصطلحها الحالي عند الغربيين كانت سائدة لديهم، حين بحثوا مشكلة الربط والتماسك، فالشاعر إذا قدم الظرف ثم أخر العمل فيه، وهو الفعل، « فذلك يكسب الكلام المتقدم أنّه قطعة واحدة متماسكة من القول، تقوم على الإفادة من ذاكرة المتلقي الذي يختزن ثم يسترجع، رابطا بين معمول وهو الظرف، والعامل فيه وهو الفعل» .[2]

الربط بالتعريف:

يرى عبد القاهر الجرجاني، أنّ لام التعريف أداة تتعدّى حدود النظرة الضيّقة التي حصلها بعض النحاة في نطاق المعيارية وذلك في أدائها لوظيفة تحويل النكرة إلى معرفة، إنّ للام التعريف بعدا آخر شمل الجملة في ذاتها وعلاقتها بالجمل الأخرى من حيث عملية الربط، فهي تعمل وتقوم بدور يشبه إلى حدّ بعيد ما أشرنا إليه بخصوص الضمير العائد، من حيث أنّها تذكّر السامع أو

[1] دلائل الإعجاز الجرجاني ص107.
[2] المصدر نفسه ص 108.

القارئ بشي سبق و أن ذكر، أو شيء معروف في الذهن سبق الكلام عليه أو الإشارة إليه في المقام وقد أورد لذلك مثالا لابن البواب:

و إن قتل الهوى رجلا *** فإنّي ذلك الرجل

فقد تمّ الجمع بين اسم الإشارة ذلك ولام التعريف في الرجل، يتطابق المثال و ما جاء عند هاليداي ورقية حسن في أداة التعريف The في الانجليزية، فالتماسك النحوي لا يكتفي بالإحالة بواسطة الضمير فحسب، وإنّما تنشأ الإحالة بواسطة أدوات أخرى لنرى المثال الآتي:

Don't go now, the train is going

نلاحظ أنّ المتكلّم استخدم أداة التعريفThe للإحالة إلى قطار معين معروف للمتحدث والمتلقي، كان قد سلف الحديث عنه.[1]

الربط بالموصول:

الرّبط بصفة عامة قاعدة هامة في تشكيل الإطار الكلّي للنص، وتحديث المعنى عن طريق التلاحم الموجود بين المراد وغيره المستنبط من خلال تبعية الكلام وتوارده الشكلي والضمني، فالأداة الموصولية استعملت عند النحاة القصد منها ضبط التماسك النحوي بين ما ألف ذكره ومعرفته وبين ما يريد المرسل أن يعلم به أو يجعله مضموما إلى سابقه في العلم به فإذا قلنا: ما فعل الرجل الذي كان

[1] في اللسانيات ونحو النص إبراهيم خليل ص230 .

عند بالأمس؟ فالمعلوم لدى السامع أنّ الرجل كان عند من سأل بالأمس ، غير أن الشيء غير المعلوم هو ما صدر عنه من فعل، وهذا المعنى هو ما يراد تحقيقه و جعله مربوطا بسابقه.[1]

أيضا يذهب صاحب الدلائل إلى أنّ الاسم الموصول جيء به بقصد الربط بين شيئين كقول من يقول : "مررت بزيد الذي أبوه فلان"، فقد وصل الاسم الذي بين الخبرين المرور بزيد، وكون أنّ فلان أباه وبالعود إلى الجملة السابقة، يظهر أنّها مكونة أساسا من ركنيين أساسيين :

1- فعل الرجل

2- الرجل كان عندك بالأمس

يظهر أنّه من خلال إضافة المكوّن النّحوي الاختياري الذي هو "ما" حول الجملة من الإثبات إلى الاستفهام فقيل: ما فعل الرجل؟ وفي الثانية تمّ استبدال الاسم الموصل "الذي" بالاسم الظاهر الرجل، وبما أنّ الرجل ذكر في الأولى، وهو معرف، جاء الذي ليحل محلّه فصار شبيها بالضمير إذ يحل مكان الاسم الظاهر، بدليل أنّ جملة الصلة تحتاج إلى مكوّن نحوي تحويلي هو الضمير العائد "العكسي" لأنّ تقدير الجملة "الذي كان هو عندك بالأمس" وقد رأى عبد القاهر في الاسم الموصول ضربا من التعريف تارة وتارة

[1] ينظر المرجع السابق ص230.

ضربا من الإحالة بالضمير وتلك لفتة ذكية اختص بها وانماز عن غيره.[1]

الربط بالتكرار:

يعتبر التكرار من المفاهيم النحوية التي تحدّد الفصل في النظم(الكلام)، وقد يجئ التكرار جزئيا، أي أنّ الناظم يكتفي فيه بتكرير جزء – فونيم- مثلا كقول البحتري:

فكالسيف إن جئته صارخا* * وكالبحر إن جئته مستثيبا.

كما أنّ للتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع أخرى يقبح فيها، فهو يقع بصفة عامة في الألفاظ دون المعاني، أمّا إذا تكرّر في الاثنين فذلك الخذلان بعينه.[2]

يعلّق عبد القاهر الجرجاني قائلا: إنّ الشاعر ربط بالعطف (الفاء) وكرّر الكاف مع حذفه المبتدأ، لأنّ المعنى -لا محالة- هو كالسيف، ثم كرّر الكاف في قوله وكالبحر. وهذا سبب واضح لمحاسن النظم فيه. [3]

إنّه بالنظر إلى المثال، يتبيّن الأثر الواضح الذي تحدّده معالم التكرير النحوية، البائنة من خلال التآلف المنعقد بين صدر البيت

---

[1] المرجع السابق ص231.

[2] ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني تح: محمد محي الدين عبد الحميد وزارة الثقافة الجزائر الجزء الثاني 2007 ص(73 74).

[3] المرجع نفسه ص231 .

وعجزه؛ لأنّه النظمي منه تحرّكه عملية الرّبط بالتكرير التي نابت محذوف لو أنّه ذكر، غاب أثر البيان البلاغي.

إنّ محاسن التأليف، تتحدّد بمثل هذه الأساليب النّحوية التي تبعث على توجيه كـــلّ الظواهر النصية توجيها يخدم الفكرة والمقصدية المراد الوصول إليها أو التنبؤ بها داخل أنسجة النصوص المختلفة.

يضاف إلى ذلك تكراره للشرط المتضمن جوابه: إن جئته صارخا إن جئته مستثيبا، وردا في الشطرين من البيت وبما أنّ التكرار أنواع منه الجزئي مثل ما مرّ ومنه الكلّي، وهو الذي تتكرّر فيه جملتان أو أكثر باللفظ والمعنى، ومنه ما يكون تكرارا في المعنى لا في اللفظ، فتكراره: إن جئته صارخا إن جئته مستثيبا، مختلفان في اللفظ إن اتفقا في المعنى؛ لأنّ كلتيهما معناهما إن جئته طالبا المساعدة.

وقد يكون التكرار تكرارا محضا كتكراره كلمة العواذل في البيت الثاني من بيتي جندب بن عمار. [1]

زعم العـــواذل أنّ ناقـــة جندب *** بجنوب خبت عريت وأجمت

كذب العـــواذل، لو رأين مناخنا*** بالقادسية، قلن: لج، ودلت

[1] المرجع السابق ص231.

إنّ تكرار كلمة العواذل المذكورة في صدر البيت الأول، أفادت الكلام قوّة؛ لأنّه مستأنف من وجهة أنّه وضع وضعا لا يحتاج فيه إلى تذكّر ما قبله، وجاء به مجيء ما ليس قبله كلام، يشير الجرجاني إلى أنّ للاستئناف قدرة منقطعة النظير في مجال ربط أجزاء الكلام، وجمله وعباراته المختلفة، فالتكرار الذي أورده الشاعر بخصوص كلمة عواذل، حسن لأنّه جاء مستأنفا من حيث الوضع كما أشرنا إليه؛ لأنّ السامع أو القارئ لا يحتاج معه إلى تفكّر ما سبق.[1]

أضيف أنّه قد سبق الإشارة إلى هذا النوع من التكرار عند هاليداي ورقية حسن، فمثال: "انزع نوى ست تفاحات. ضع التفاحات في طبق مقاوم للنار".

ففي حالة تعذّر استخدام الضمير في (ضعها)، فإنّ تكرار كلمة (تفاحات) بلفظها أو بمرادفها، ينشأ ما يسمّى بالتماسك المعجمي lexical أو الصوتي Phonological.

يذهب كلاوس برينكر (Brinker) إلى أنّه تندرج الإعادة في شكلين مهمين، إعادة صريحة وإعادة ضمنية، فالصّريحة تنجلي في تطابق الإحالة (تساوي الإشارة) لتبدّلات لغوية معيّنة في الجمل

[1] ينظر المرجع السابق ص 232.

المتوالية في نص ما، إذ يعاد تكرير تعبير معين(كلمة أو ضميمة)[*]. من خلال تعبير أو عدة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنص في صورة مطابقة إحالية (الأشخاص، الوقائع، الأفعال، التصورات).

تمثّل الإعادة من خلال أسماء وضمائر في الواقع أهمّ إمكانية للإعادة، ولكن يمكن أن تقوم أقسام كلام أخرى أيضا بوظيفة تعبيرات مستأنفة مثل(الظروف والصفات والأفعال)، أما الضمنية على عكس الصريحة لا توجد بين التعبير المستأنف والتعبير المستأنف أية مطابقة إحالية.[1]

يظهر أنّ مصطلح التكرار كما ورد عند الجرجاني، بالنّظر لما جاء عند برينكر(Brinker) باسم الإعادة بنوعيها(الصريحة والضمنية) لا يوجد بينهما فرقا على الإطلاق بالنظر إلى الاستعمالات المختلفة غير المتباينة في المتواليات المستعملة بينهما، كذلك الأمر عند هاليداي ورقية حسن.

إنّ استئناف الكلام تحقّقه تلك العلاقات الموجودة بين الألفاظ وبين أجزائها الداخلية من وجهة الترابط البنائي والمضموني، لأنّ الفاعلية المقصودة تتأثّر بعدم ربط أحدهما بالآخر، فعملية الربط

---

[*] تتكون الأبنية التي يطلق عليها ضمائم اسمية من " جزء ضميري"(الأداة والضمائر الأعداد صفات ومشتقات ونواة اسم مثل: دخل المنزل(أداة + اسم) دخل المنزل الجميل (أداة + اسم + صفة)...

[1] التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج كلاوس برينكر تر:سعيد حسن بحيرى مؤسسة المختار للنشر والتوزيع 2005 ص38 .

إذن من القواعد التي لا يمكن الاستغناء عنها فيما أسموه القدامى بالحبك والسبك داخل النّصوص.

إنّ التكرار بمفهوم الجرجاني شرط أساسي لا يمكن الاستغناء عنه لتحقيق التماسك النصي، لكون أنّ عود الضمير في جملة تالية على مستأنف قد ذكر، علامة على مدى وجود تآلف داخلي في النّص، تؤكّده الأدوات المختلفة الخادمة لعملية الربط داخل النص، كما أنّ عدم تحقّق الاتساق والانسجام داخل أيّ تركيب نصي منشأه عدم تلازم هذه الأدوات، واستعمالها دون دراية داخل الأطر المختلفة للنصوص، فهو يهدي إلى إحداث التجانس بين العبارات من حيث الوزن الصوتي و الصرفي معا، لإحداث إيقاع معين ينفعل معه القارئ الآخر على المستوى المعرفي، على نحو يستوجب إجابة عن متطلبات الخطاب السابق. [1]

يرى بعض المعاصرين، أنّ ظاهرة التكرار، هي أكثر من عملية جمع، هي عملية ضرب فإن لم تكن كذلك، فهي وليدة ضرورة لغوية أو مدلولية، أو توازن صوتي أو هي تحرير لملء البيت والبلوغ إلى منتهاه[2] ممّا يلفت إلى أنّ مقصدية النّص بصفته التركيبية،

---

[1] ينظر لسانيات الخطاب و انساق الثقافة عبد الفتاح أحمد يوسف الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الإختلاف ط1 2010 ص 128.

[2] خصائص الأسلوب في الشوقيات محمد الهادي الطرابلسي المجلس الأعلى للثقافة مصر 1996 ص62.

تتحكّم فيها هذه المزية بما تسديه لها من خدمة فيما يتعلق باتساق النص وانسجامه.

المبحث الثاني: تجليات نحو النص

أولا: الاستدلال بالمعنى على المعنى:

لقد ارتبط هذا المصطلح بالوجوه البيانية التي عنيت بها البلاغة، حيث كان للاستعارة والكناية دورهما في إبراز ما للتشكيلات المضمونية من أدوار أساسية في تجسيد مختلف الظواهر البلاغية المحدودة بحد الكلام وغيرها، ممّا كان محل اهتمام عبد القاهر الجرجاني يقول:« هاهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: "معنى"، و"معنى المعنى"، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة – و"معنى المعنى"، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر... » .[1]

يذهب شكري المبخوت، إلى أنّ تأويلات القدامى لمصطلح "معنى المعنى"، تشكل اختلافات واضحة بخصوص إبراز مقتضياته واستلزام ما يمكن استلزامه منه، فجمع هذه الاختلافات يصبّ في مفهوم جوهري واحد، هو أنه ربطه بالمحور الأساسي لديه وهـــو النظم، أي أنه أنزل معنى المعنى ضمن نظرية النظم باعتبارها نظرية

[1] دلائل الإعجاز الجرجاني ص 263.

بلاغية. [1]إنّ مجمل التوضيحات التي اهتمت بتوطيد المصطلح شكّلت اهتماما، كان مجـــالا خصبا لتحريك مسار البحث الدلالي لدى العرب القدامى، لأنّ ما حصل بخصوص، النظم عند الجرجاني كان تأسيسا في حدّ ذاته، لما يطلق عليه اليوم بالخطاب أو التواصل، ممّا يجدر القول به أنّ الجرجاني لم يقف عند حد المعنى الظاهر بل راح ينقّب عن المعاني التي تحصل في المضامين، لأنّ هذا النوع من المعاني لا يذكره المرسل للخطاب، فعلى السامع استعمال الاستقراء والتمعّن والاستدلال للوصول إلى مثل هذا النوع من المعاني المتجسد من خلال الضمنية لا الصراحة، ولكون أنّ كلام العرب كان زاخرا بمثل هذه، التفاعلات اللغوية، ظهر هذا المصطلح مبكرا. يذكّر أبو هلال العسكري« بأنّه لا خير في المعاني إذا استكرهت قهرا والألفاظ إذا اجترت قسرا، ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه، ولا في غرابة المعنى إلاّ شرف لفظه مع وضوح المغزى وظهور المقصد ».[2]

إنّه ينبغي الإشارة إلى أنّ اعتبار الكناية والمجاز ضرورتان ملحتان في مجال بحث معنى المعنى؛ لأنّ المقصود هو أنّه لا يمكن أن نصل إلى المعنى الأخر الخفيّ دونهما، ممّا يجعل مزيّتهما ظاهرة في

---

[1]الاستدلال البلاغي شكري المبخوت ص 30 .

[2]علم الدلالة العربي- النظرية والتطبيق – دراسة تاريخية تأصيلية نقدية فايز الداية ص76 .

مجال البحث الدلالي قائمة، فلا يمكن أن يحلّ لنا أثر ثان في الكلام دون ذلك المضمون القيد لمعنى آخر هو المدار الذي تدور حوله المقصدية وغاية الكلام.

إنّ الآليات النّصية التي استخدمها عبد القاهر الجرجاني في تفكيك الغموض السائد داخل النّص، لاسيما إرادته المستفيضة في تركيز رؤاه على إثبات إعجاز القرآن الكريم، وجهت اهتمامه إلى التأسيس لنظرية بلاغية تعدّت في المعالجة بعض الأطر المعيارية السائدة « فالاهتمام بالكناية والاستعارة أيضا، اهتمام مفيد في بيان تصوّر الجرجاني للآلية الاستدلالية التي يقصدها والتي تمكّن من الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني ».[1]

ولقد جاء التعبير عن ذلك في غير ما فصل من الدلائل حيث ذكر أنّه «قد أجمع الجميع على أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأنّ الاستعارة مزية وفضلا، وأنّ المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة، إلا أن ذلك، وإن كان معلوما على الجملة، فإنّه لا تطمئن نفس العاقل في كلّ ما يطلب العلم به حتى يبلغ فيه غايته، وحتى يغلغل الفكر إلى زواياه، وحتى لا يبقى عليه موضع شبهة ومكان مسألة ».[2]

---

[1] الاستدلال البلاغي شكري المبخوت ص 31.

[2] دلائل الإعجاز الجرجاني ص70.

إنّ المزية الملتمسة، ليست في تأثير الكناية أو الاستعارة في ذوات المعاني وحقيقتها، بل المزية كلّها في الإيجابية والحكم بها، يظهر ذلك من خلال الخيط المربوط بين المعنى الأصلي والمعنى الثاني المستنطق، المتضمّن فإثبات الشجاعة للرجل مقرون بإثباتها لدى الأسد، كذلك الجبان يقرن بالنعامة.

إنّ الاستعارة تتعدّى أبجديات مقارنة الكلام بعضه ببعض، إنّها تجلي ما خفي فتضفي عليه لمسات جديدة جذابة، فتجعله يربط بين السياقات المتباعدة، إنّ المعاني التي تحقّقها الاستعارة معاني جديدة لا سابق لها، فهي تظهر بجدتها لتحتلّ كيانا جديدا يبعث إلى التفاعل وخلق ديناميكية نصية تحرك مساره في إطاره المعهود وغير المقصود بدلالة السياق،[1] أيضا بين مختلف التشكلات النصية تظهر إشارات غير متوقعة ولم يكن قصد مؤلفها واضحا من بداية تأليفها، لأنّ تفاعلاتها البعدية تحكّمت فيها الأحوال وتناغم لفظها.

ثانيا: البعد التداولي من خلال خطاطة الأسرار والدلائل

لقد أثارت قضية المنحى الذي سار عليه الجرجاني بين الأسرار والدلائل نوعا من الجدل، بخصوص تصوّره الأشعري في كون أنّ الكلام حديث نفسي، وأبعد التصوّر الثاني المعتزلي، الذي اعتبر أنّ الأصوات لوحدها لا مزية لها في التواصل وإثبات ما يريد إبرازه من

[1] ينظر علم الدلالة العربي- النظرية والتطبيق – دراسة تاريخية تأصيلية نقدية فايز الداية ص76.

إعجاز، هذه التصوّرات ظهرت بصورة جلية في الطروحات التي قدّمها في أسئلة ذات أبعاد مختلفة تمحورت حول الصدق والكذب، الشيء الذي جعله يستثني الاستعارة من التخييل ومن الإعجاز لكون أنّها قليلة في الخطاب.

بالرغم من هذا تبقى عملية التحوّل بأبعادها، قائمة بالنّظر لما لمسناه في مختلف المدارج الفكرية المنسوجة سواء على مستوى النفي أو الإثبات المعتمدين لدى الجرجاني بالإسرار أو الدلائل « إنّ عملية الانتقال من أسرار البلاغة إلى دلائل الإعجاز لا تعني تغيير الموضوع أو قلب الإشكالية رأسا على عقب. ولذلك لم تستتبع التخلّي عن مادة الأسرار بل اكتفت بتعديلها وتكميلها(بإضافة الكناية) وربطها بمقتضيات النظم النحوي، وجعلها تابعة له، فلم تعد القمة موجودة في اتجاه تنامي الغرابة بل في اتجاه مناسبة الكلام لمقاصد» .[1]

الظاهر من هذا أنّ البحث في الكتاب الأول، كان غرضه بلاغة الشعر دون عنصر الإعجاز الذي لمحناه مسيطرا على كتابه الثاني الدلائل، الذي كان مسعاه محاولة إثبات معجزة كلام العرب في بلاغته، لينتهي دون رجعة إلى تركيز الإعجاز في النص القرآني وحده دون غيره، بالرغم من اختلاف مساعي الكلام وتعدّد المعنى

[1] البلاغة العربية أصولها وامتداداتها محمد العمري إفريقيا الشرق المغرب 1999 ص353 .

في الملفوظات بالاستطراد، تبقى الإشكالية لدى الجرجاني منتظمة في أصلين هما: بحث المعنى الغريب المعجب والمعنى المناسب للمقاصد.[1]

إنّ نواة الأسرار المعتبرة، هي اعتماد التخييل، كمادة أساسية لدى البلاغيين في إيراد وتأويل النّصوص، بينما نواة الدلائل النحو والإعراب بمفهومهما الواسع الذي ينال علاقة المعاني بالمقاصد.

يذهب عبد الجليل منقور إلى أنّ علماء الأصول لم يغفلوا العلاقات المستفيضة بين التراكيب النّصية، التي استعانت بالنّحو في استنباط الأحكام والمقاصد، كان ذلك بتحليل الأنساق اللغوية وتركيز الوقوف على تأويل الدلالات المتناسقة والتحكّم في مدارج أفعالها المنجزة عبر خطية الخطاب باعتمادهم البلاغة أساسا جوهريا وخدما لمختلف التراكيب المتداعية في الخطاب.[2]

من خلال ما عرضناه من أفكار وأراء لعبد القاهر الجرجاني بخصوص تعامله مع النص وأدواته، اتضح أنّه لم يغفل الجانب التطبيقي في تعاملـــه مع الأدوات النصية، حيث ذهب بعيدا بخصوص ربط العلاقات سواء منها الظاهرة أو المتضمّنة، مؤسّسا نظريته على النّحو، لما أثبت له من دور كبير في تجسيد رؤية الشمول والكلّ في إطار تركيب المعاني المتناثرة عبر مسار الجمل التي

---

[1] ينظر المرجع السابق ص 353.

[2] ينظر النص والتأويل دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي منقور عبد الجليل ديوان المطبوعات الجامعية 2010 ص73.

تتحكّم في ربطها القواعد النحوية، ممّا يسوقنا إلى تحليل بعض النّصوص من كتابه "الدلائل" محاولين إبراز القواعد التي سلك فيها سبيلا آخر، تخطّى من خلاله معيارية الجملة مبرزا دور القواعد النّحوية في تشكيل رؤيته النّصية التي تعترف بوحدة المعنى وشموليته وتداعيه التداولي.

الفصل الثالث

نماذج تطبيقية من الدلائـــــــــل

نماذج تطبيقية من كتاب الدلائل

إذا كان الاتساق يبحث العلاقات الداخلية للكلمة عبر السوابق واللواحق، فإنّه دراسة سطحية أفقية لمسار الدلالة، أمّا الانسجام، فهو تواتر المعاني والأفكار تواترا عموديا، يراعى فيه التسلسل المنطقي، المبني أساسا على طرح فكري، يبدأ من البسيط إلى المركّب أو العكس أو من السهل إلى الصّعب فالأصعب، أو العكس من الأقل أهمية إلى المهم فالأكثر أهمية، كما أنّ الانسجام، يمهّد لربط السبب بعلّته والمقدمة بنتائجها، وتتشكّل منه الوحدة العضوية والوحدة الموضوعية.

وبالرجوع إلى ما جاء في كتاب الدلائل، نلمس بصفة جدّية، المجال الرّحب، الذي خصّه لموضوع النّحو، وإبانته لأثره في تكوين الجملة والجمل كإطار جزئي يعتمد في تأليف التركيب الكلّي المؤدي إلى النّظم، فالنّحو لديه لا تتحقّق مزيّته الإبانية في جزء من الجملة دون جزء آخر؛ فالأثر يظهر من خلال التأليف وليس العكس، فالسّامع لا حاجة له في أن يتلقف كلاما مبتورا، لأنّ الفائدة منه منعدمة أو مجهولة، كما أنّ أساليب التأليف المنشودة لديه، المؤثرة في العقول لا يمكن أن توقّع دون رعاية الأجزاء الداخلية والشكلية، لأنّها روحه ونفحه الزّاخر باعتماد الأدوات الموجّهة، لأداء وظيفة هامة لا يمكن الاستغناء عنها، مهما انزاح

صاحب النّص المؤلّف؛ كما أنّ الغاية الكبرى تنجلي بصفة جدية، بتمام المعنى المراد رغم تباعد الدلالات وتوزّعها القبلي عبر الكلمات لتصبّ في النهاية بشكل نمطي ملتزم، فيما أطلق عليه بالنظم « وليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النّطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل.. فما النّظم إلاّ أن تقتفي في نظم الكلمات آثار المعـــاني، وترتيبها على حسب ترتب المعاني في النّفس ».[1]

يظهر من نص عبد القاهر الجرجاني، أنّ تأليف الكلام ونسجه وصياغته تتأثر بسوابق يكون للتدبّر العقلي الأثر الفعّال في تركيز معالم معانيها، لا يتأتّى ذلك إلاّ عن طريق تأليف الجمل المختلفة، التي تحتاج إلى أدوات تكوّن روحا جديدة، يقصد من خلال تعالقها الكلّي الوحدة النّصية، كما أنّ عملية المشاركة في اللّفظ والحكم الإعرابي يتميّز شأنها في هذه الوحدة المجسّدة داخل التركيبة اللغوية، لتندفع نفس الملقي عن طريق الاستطراد وبالوسائل- أدوات- من نفس معدنها لتلقي بالمتلقي في عمق أساسه البحث عن تحقيق غاية أو مقصد الكلام، المحدّد لأيّ نوع من أنواع السلوكات الإنسانية.

[1] دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ص102.

إنّ للرّبط مزية تعليق لدى عبد القاهر الجرجاني، فالكلم لا ينعقد ولا تتوافد مزاياه كاملة في غيابه أو في عدم تركيز استعمال أدواته داخل النسيج اللغوي.

يقول الجرجاني: « هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطأه إن كان خطأ إلى النّظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلاّ وهو معنى من معاني النّحو قد أصيب موضعه ووضع في حقّه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلّا وأنت مرجع تلك الصّحة، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتّصل بباب من أبوابه».[1]

ينبّه صاحب الدلائل، إلى أنّ كلّ التراكيب مهما تعدّدت تآليفها وتباينت معانيها لا مزية لمعنى على معنى آخر، ولا يمكن أن يصل المبتغى المراد أي من التأليف المستحدثة لأجل بلوغ القصد بإغفال النّحو، الذي يعتبر لديه الرّكن الأساس الموصل إلى النظم.

إنّ علامة النّحو تنجلي في السبك الموجود بين مختلف الأدوات، التي من شأنها أن توفّر له أساليب جديدة، تبعث إلى ربط الظاهر بالخفيّ والخفيّ بالظاهر، كلّ ذلك من أجل بلوغ غاية سعى عبد القاهر لإثباتها، عن طريق ما أسماه بالبناء والوشي والتحبير.

[1] المصدر السابق ص(82-83).

في هذا الشأن يربط بين النظم والنحو ربطا عميقا، لما تصوّره من بعد أثر في بعضهما يذكر حسين خمري «أنّ عبد القاهر يربط بين النظم والنّحو بطريقة عميقة تتحوّل إلى نوع من علاقة للتلازم، أي التلازم في الحضور والغياب...كما يؤكد على قناعته بعلاقة النظم بالنحو إلى درجة الدمج بين علم النحو والنظم».[1]

يؤكّد أيضا أنّ الكلام لديه لا يوصف إطلاقا بالفساد أو الصّحة دون العودة إلى معاني النّحو وأحكامه، أو كان داخلا في أصل من أصوله أو بابا من أبوابه، الشئ نفسه الذي ذهبا إليه هاليداي ورقية حسن، حين اعتبرا أنّ الاتساق هو فيصل التفريق بين النّص واللانص.[2]

لقد تعدّى مفهوم النّص عنده مجال التعامل مع الجملة في إطارها المعياري البحت المحكوم بالضوابط الإعرابية، حيث وسّع ذلك معتمدا على الدلالة النّحوية التي تجليها مضامين مؤلفات الجملة الواحدة عن طريق التتابع والترتيب بالجمل التالية، التي تشكّل في النهاية ما أطلق عليه "النّص" أو مجموعة "الجمـــل

[1] نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال حسين خمري الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف ط1 2007 ص (222221).

[2] ينظر لسانيات النص محمد خطابي ص12.

المؤتلفة"، يقول:« معاني النّحو لا تقف عند الجملة، بل تتجاوزها إلى النّص أو مجموعة الجمل».[1]

إنّ مفهوم تعدّي معاني النّحو حدود الجملة لديه لم يكن وليد ظرفية أملتها تعدّدية المدارس النّحوية المتشعّبة، بل الأمر يتعلّق ببعد النّظر الذي ساق مؤلف "الدلائل" إلى البحث عن شئ أهم من الجملة التي ما برحت لم تتعدّ النّظرة المعيارية البحتة، حيث وجّه الأنظار إلى ضرورة معالجة المعاني النّحوية في إطار الوحدة النّصية الكبرى، مراعيا مختلف الأدوات التي تقـــوم على شاكلتها ما أطلـــق عليه هاليداي ورقية حسن بالنّصية.[2]

إنّ تأليف الكلام لديه لا تكتمل مزيّته إلاّ إذا بلغ مستوى النّظم، أي في تصنيفه ووشيه وتحبيره؛ لأنّ مؤلفه إذا لم يتحر ويتفطّن لمختلف التبدّلات الطارئة على مختلف تصانيف المركّبات اللفظية ساد الغموض وتباعدت المعاني بشرودها وعدم انسجامها وتماسكها، هذه الظواهر تنبّه إليها عبد القاهر الجرجاني حين عالج موضوع تعلّق الكلام بعضه ببعض وكذا ترتيبه.

إنّ عملية الكشف عن البنية الكبرى للنّص، لا يمكنها أن تتحقّق في غياب الجملة أو الجمل بمختلف أنواعها المعهود عند

---

[1] دلائل الإعجاز:الجرجاني ص81.

[2] ينظر Cohesion in English, Halliday M.A.K And Ruquaya Hassan,p12.

علماء العربية، وبتحمّل الأدوات تفاعلاتها المتباينة بتباين مقاصدها، فالناظم غير المجدّ تتوفر لديه بدلا من حجّة السّبك المؤدية إلى الفصاحة والبلاغة اللتان يخلص من خلالهما إلى النظم الخالص المعجز، مزية قلب الكلام عن أصوله فتنعقد مسألة أخرى لا تصبّ إطلاقا في محتوى الرّصف والنسج يقول: «وممّا وصفوه بفساد النّظم، وعابوه من جهة سوء التأليف، أن الفساد والخلل كانا من أن تعاطي الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب، وصنع في تقديم أو تأخير أو حذف أو إظهار أو غير ذلك ممّا ليس له أن يصنعه، وما لا يسوغ، ولا يصنع على أصول هذا العلم».[1]

يذهب الجرجاني، إلى أنّ مؤلف النّص إذا عمد إلى تحرّي الصواب من البداية فقد قارب ما أسماه بالنّظم، وابتعد عن إظهار فساده، كما أنّ الكلام المنظوم تتميّز قدرته المرجوة بتحمّله صيغة التوالي التي تتحكّم فيها الأدوات النّحوية المستعملة في أيّ نوع من أنواع الخطاب (الشعر، النثر، الرواية....).

يتّضح ممّا سبق، أنّ الرؤية النّصية كانت حاضرة بقوّة عند قدمائنا، حيث نلمس ذلك بكلّ جدية في مختلف النماذج المتناثرة في كتابي عبد القاهر "أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز" يقول: « إنّ من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن، كالأجزاء من الصيغ

[1] دلائل الإعجاز: الجرجاني ص84.

تتلاحق، وينضمّ بعضها إلى بعض، حتى تكسر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحذق والأستاذية، وسعّة الدرع، وشدّة المنّة، حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدة أبيات».[1]

إنّه وباعتبار النّص إنتاج لغة حسب ما ذهبت إليه جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) التي تبنّت في أبحاثها " السيميائية التحليلية "Semanalyse

فالنّص لديها لا يظهر في إطار متن لساني، منظورا إليه كبنية مسطّحة، بل هو توليد مسجّل في هذه الظاهرة اللسانية،[2] وهي تتقاطع ورؤية الجرجاني، الذي أكّد على أنّ الكلم يأتلف من اسم وفعل وحرف مراعيا في ذلك الضرورة التجاذبية المنعقدة بين هذه الأدوات اللّسانية في تشكيل ما أسماه بالوحدة النّصية، المتولّدة عن طريق التناسق الذي أحدثته بإيراد الدلالة النهائية، المعبّر عنها عند التداوليين بالمقصدية النّصية.

يذهب أيضا إلى أبعد من ذلك، مبرزا قوة إئتلاف الكلام التي تنتجها الجملة مؤدية إلى المعاني المختفية فيه عبر مسارات غير محدودة، تتداخل فيما بينها بالتتابع المقصود، الذي يسلكه المؤلف

---

[1] المصدر السابق ص88.

[2] ينظر انفتاح النص (النص والسياق) سعيد يقطين المركز الثقافي العربي بيروت 1989 ص20 .

يبغي من خلال تعاضد مختلف الجمل حمل المعاني اللطيفة وغيرها، لتصبح خدما، متعلّقة بالنّص كوحدة كلّية لا تتجزأ أعضاءها.

فالأصل في التأليف لا ينعقد إلاّ من خلال التناسق والانسجام، اللذان يخدمان وحدة النّص عن طريق مختلف القواعد النحوية المتناثرة فيه، [1] فالوصل في الجمل يسدي للمعنى الإشراك والتطابق، كما أنّ الفصل يبعث إلى التّفريق وحصر التباعد وإظهار ما خفي ويستوجب تبيانه، الشيء نفسه يتخلّل الأدوات الأخرى كالتقديم والتأخير، التكرار، الحذف، الاستبدال...

هذه الوسائل وما لها من أثر في تعليق الكلم بعضه ببعض، وربطه لبلوغ غاياته لا يمكنها أن تحقّق هذا المرمى؛ لأنّ إظهار النواحي المهمّة في كلّ الوحدات النّصية ينجلي عن طريق فتح المجال أمام آليات الترابط المفهومي، وكذا العناصر المنطقية المتعالقة التي تحكمها، ولاسيما أنّ منشئ النّص يكون قد خيّر وضعا معينا في عقله يتحدّث فيه، قبل أن يقوم بتعليق دلالة الألفاظ، وضمّ بعضها إلى بعض، وترتيبها بحسب معاني النّحو.

هذه العلاقات المتباينة التي نلمسها بكلّ وضوح في كلّ الفصول النّحوية، التي أوردها صاحب الدلائل أبانت عن مدى قدرته على الاستنباط والتعليل، وكذا التمكّن من آليات التحكّم في

[1] فرديناند دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات جوناثان كلر تر: عز الدين اسماعيل المكتبة الأكاديمية الدقي القاهرة ط1 2000 ص209 .

أدوات الكلام، حيث أنّه لم يبق على شاهد نحويّ دون إظهار دوره في النسج اللساني سواء منه المنطوق أو المخطوط، ممّا يسوق إلى أنّه بمقاربة بسيطة بين المنظّرين الغربيين لنحو النّص، وما كان من شارات نصية لدى عبد القاهر الجرجاني يتّضح الآتي:

1- يتمحور جهد الجرجاني، حين طرق مسألة الفصل والوصل في تبيين كلّ التموقعات المنضوية عبر مختلف تأليفات الجمل المعطوف بعضها على بعض، أو المتروك بها العطف والإتيان بها منثورة والتي استخدم فيها النّحو كأقوى معيار، أبرز به قوة انسجامها وتناسقها مؤلفة ما أسماه بالوحدة النّصية، الشئ نفسه الذي جاء به فان دايك (Van Dijk) حين تحدّث عن ترابط الجمل وفي نفس باب الوصل والفصل، يظهر أنّه لم يكن هناك فارقا مهمّا بين ما ذهب إليه الرجلان، فقد استعمل هذا الأخير، مصطلح ترابط بينما جاء المفهوم بنفس المعنى عند الجرجاني "الإشراك والجمع".

2- كان اعتماد عبد القاهر على النحو كأساس جوهري في ترتيب و تعليق و تفسير الكلام، ممّا جعله يرتّب ذلك في مجموعة من القواعد والقيود التي بلورها النّحاة من أجل ضبط العطف(كامتناع ذكر الواو بين الوصف والموصوف، أو بين التأكيد والمؤكد، أو

امتناع عطف جملة على أخرى لا محل لها من الإعراب، والتمييز بين عطف المفرد على المفرد وبين عطف الجملة على الجملة...الخ.[1]

3- لقد تعدّت نظرة الجرجاني قاعدة الاطراد الداعية إلى أنّ(القاعدة حكم على اللغة الفصيحة وحدها)؛ لأنّه بتفحّصنا نظرته الشمولية بخصوص الكلام المنطوق والمخطوط؛ فإنّه يعترف بالمؤشرات الأسلوبية من خلال مناقشته مختلف الظواهر البلاغية، يظهر ذلك من خلال الاهتمام الكبير الذي أولاه في الإثارة التي يجب أن تكون بين مرسل الخطاب ومتلقيه، حيث أنّه لم يقف عند حدّ الملفوظ الآني المتجسّد في الجملة بحدودها، بل جعله يعمد إلى اتخاذ سبيل آخر، سلك من خلاله مجالا واسعا، كان للوحدة النّصية لديه دورها في إبراز مقصدية الكلام، الأمر الذي ساقه إلى استخدام معيارية الجملة لخدمة النّص ككلّ مركّب في إطار النظم، الشيء نفسه الذي يقودنا إلى أنّه لم يتناس عنصر المقام أو الحال الذي عبّر عنه فان دايك(Van Dijk) بالسياق.[2]

4- من خلال المعايير النصانية التي أوردناها لدي بوجراند (Robert De Bojerand)يتجلّى أنّ هنالك معياريين يتفقا بين نحو الجملة ونحو النص، "التضام والحبك" يضرب عبد القاهر الجرجاني لذلك مثلا :" عمرو قائم وزيد قاعد"، فالشخصان في ذهن المتلقي

(1) http://maamri-ilm2010.yoo7.com.

(2) ينظر أسرار البلاغة محمد رشد رضا دار المعرفة بيروت -لبنان- 1981 ص346.

لا يفترقان حتى أنّه إذا عرف حال أحدهما تاق إلى معرفة حال الثاني، مثل أنّهما إذا كان «أخوين أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة كانت الحال التي يكون عليها أحدهما من قيام أو قعود، أو ما شاكل ذلك مضمونة في النّفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك»[1] مبدأ التضام النفسي نسبي خاص، أي أنّ شخصين أو أكثر تعتبر مضامة بالنسبة لمن يعرفهما ويعنيه حالهما فقط، ولا يمكن أن تعتبر كذلك بالنسبة لكل النّاس، هذا بالنسبة للتضام النفسي، أمّا التضام العقلي فهو عام، لأنّه مرتبط بالوقائع مثل: "العلم حسن والجهل قبيح". فالمبرر الدلالي للعطف هو كون الخبر عن الثاني مضادا للخبر عن الأول، والتداولي هو كون الواقعين متضامين عقليا بالنسبة لجميع البشر هذا الذي يبرهن عليه عبد القاهر بقوله:« لا يتصوّر إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه» [2]، أمّا المثال الذي أورداه هاليداي ورقية حسن Why does this boy wriggle all the time ?Girls dont wriggle (ما لهذا الولد يتلوّى في كلّ وقت وحين؟ البنات لا تتلوى) "فالولد والبنات" ليسا مترادفين، ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه، ومع ذلك فإنّ ورودهما في خطاب ما يساهم في النصية. [3]

---

[1] دلائل الإعجاز ص172.

[2] المصدر نفسه ص 188.

[3] ينظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص25.

يستخلص أنّ عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرته الثّاقبة قد أسهم بجهد لا يستهان به في مجال اعتماده النّحو، كأساس لابدّ منه في مجال إثبات وحدة المعنى وشمولية مقصديته، وعليه فإنّ مجهوداته صبّت بشكل واضح، فيما يسمّى بلسانيات النص، فكانت لها بصمة نوعية، أكدتها الدراسات والبحوث، كما أنّه يثبت أيضا من خلال تعليق النّحو بمجال بحث النّص القرآني، كان واضحا من خلال إبراز تماسكه وانسجامه، عن طريق الوسائل التي تنوّعت بين: العطف والإحالة والإشارة، الاستبدال، الحذف وكلّ الأدوات الأخرى. [1]

ما لمسناه لدى عبد القاهر الجرجاني وبعض المنظّرين الغربيين، أنّهم انطلقوا من فكرة واحدة، وهي أنّ مرحلة تكوّن الإطار العام للكلام تكون في ذهن متكلّم اللغة قبل أن يرتّب المعاني في نفسه ويترّلها ويرصف بعضها على بعض طبقا لقواعد النحو؛ لأنّ اللّفظ تبع للمعنى، والكلم تترتّب في النطق بحسب ترتب معانيها في النّفس، لتحصل في النهاية حصيلة يكون منشأها اللسان وغايتها بلوغ القصد الوافي غير المتجزأ، الذي يتوصل إليه عن طريق النّص وليس الجملة منعزلة، لا يكون ذلك إلاّ وفقا للتجاذب الذي تطرحه العلامات النّحوية الممكّنة لهذا التأليف.

[1] نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية حميدة مصطفى الشركة المصرية العالمية للنشر -لوجمان- مصر ط1 1997 ص11.

يعلّق عثمان أبو زنيد على أنّه «لا يفهم من هذا إلاّ أنّ حدود البلاغة تكون من وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وتصحيح الأقسام، وحسن الترتيب والنّظام والإبداع في طريقة التشبيه والتمثيل والإجمال ثمّ التفصيل، ووضع الفصل موضعهما وتوفية الحذف والتأكيد والتقديم والتأخير»[1].

تخضع عوامل الرّبط بين الجمل والعبارات التي يتألف منها الكلام شعرا ونثرا لما يتطلبه السياق، أو الموضع، حيث لا تستقر هذه المكوّنات إلّا بعد تجميعها في إطار متناسق.[2]

لقد أثيرت قضية السياق لدى الجرجاني بقوة، حيث أنّ الكلام لا ينعقد لديه دون مراعاته لمختلف الأغراض؛ لأنّها لا تتوارد منفردة، فذكر اللّفظ وعرضه لا يكون له أثر وفعالية على الإطلاق دون استدعاء اللفظ للمعنى، فلا يستطيع مؤلف الكلام أن يطرق بابا دون أن يربط الشكل بمضمونه، الكلّ بجزئه وكذا الارتباط التراتبي الملزم لديه بالنّحو، الذي يلزم على أنّ استعمال التقديم في غير موضعه لا يروق، كما أنّ التنكير كذلك لا يمكن وضعه في غير الموضع الذي وضع له ،لذلك فالموضع يربط المعنى

---

[1] نحو النّص إطار نظري ودراسات تطبيقية عثمان أبو زنيد عالم الكتب الحديث ط1 2009 ص100.

[2] اللسانيات والرواية روجز فاولر تر: أحمد صبرة مؤسسة حورس الدولية للنشر- الإسكندرية 2009 ص53.

ويقيده يقول عبد القاهر الجرجاني: « واعلم أن ليست المزية واجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب من المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض. فالتنكير لا يروق في كل مقام، والتقديم لا يروق في أي مقام، وليس من فضل أو مزية لشئ من ذلك إلاّ بحسب الموضع، وبحسب المعنى».[1]

لقد ذهب صاحب الدلائل إلى أنّه لا يمكن الفصل بين أجزاء الكلام؛ لأنّ الأصل لديه يتألف ويكتمل حين تتداخل خصائصه المختلفة، فالجمل المكوّنة له تنحصر قدرتها في تأدية معنى واحد منفصل وقد لا تؤديه أحيانا، فالمتتالية الجملية حين توضع وضعا صحيحا قبل نطقها ثم تصرف إلى موضعها المراد، فتكون سابقة عن أخرى أو لاحقة لها أو يخيّر مكان وضعها قبليا، حينئذ تصب هدف الكلام، فتنجلي فصاحته في مدار مهمّ ألا وهو النّص.

إنّ الرؤية النّصية تبدو واضحة من خلال الإشارة الواضحة إلى أجزاء الكلام وما تتّخذه من عملية رصف للجمل ليحصل التأليف الواقع عن طريق الترتيب والتعليق والقصد المراد في نهاية المطاف يقول: « إنّ ممّا هو أصل في أن يدق النّظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتخذ أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في

[1] دلائل الإعجاز: الجرجاني ص69.

بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، و أن يحتاج في الجملة على أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها، حال الباني يضع بيمينه هاهنا، في حال ما يصنع بيساره هناك، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعها بعد الأولين».[1]

يتّجه عبد القاهر الجرجاني إلى شيء آخر يتحقّق من خلاله النظم الكامل، حيث ينوّه بقدرة الناظم المجد في تأليف الكلام، لأنّ وضعه يكون مسبقا وبطريقة سهلة فلا يجهد فكره ورويته في البحث عن أداءه وترتيبه؛ لأنّه مرتّب ومتناسق ومنسجم قبليا فلا يمكن أن تتداعى فيه نقائص ولا تشوبه معايب.

ممّا يبن أنّه نظرته الثاقبة، تعدّت قصور معيارية الجملة في أداء الصورة الكلية للمعنى، فالكلام لديه تتفرّق معانيه، غير أنّها مهما تنوّعت وسبق ثانيها الأول وذكر أولها آخرا؛ فإنّ تعالقها وتداعي بعضها لبعض تشترطه القواعد النحوية صاحبة الشأن في التركيب المفضي إلى وحدة المعنى في النّص إلى أن يقول: « واعلم أنّ من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبّرته، أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضمّ بعضه إلى بعض سبيل من عمد إلى لآل فخرطها في سلك لا يبغي أكثر من أن يمنعها التفرّق وكمن

[1] المصدر السابق ص 93.

نضد أشياء بعضها على بعض، لا يريد في نضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة ...».[1]

تتعيّن لدى سامع النّص أو قارئـــه خاصية التمييز بين الجـــزء والكلّ من خلال أداء النص في ذاته؛ لأنّ ترابطه وانسجام معناه يؤديان به إلى تركيب أجزاءه المتقاربة، وكذا المتباعدة، فهو ينبأ عن بناء أشكال ومضامين جديدة، تتولّد عن طريق تناميه انطلاقا من مصادره المعجمية وكذا جمله ذات الصبغة المعيارية.

إنّ الدائرة التي تكوّن الأفعال والمسمّيات، تنشأ تركيبا شاملا تتلاقى فيه إحداثيات النّص لخدمة المضمون غير المجزّأ، المرتبط بدوره بجزئيات المعنى المتناثرة والمتقاربة داخله، يتحقّق ذلك حسب صاحب الدلائل باستعمال النحو كأداة لجمع الكلّ وتشكيله في قالب واحد يقول: «بل ليس إلاّ أن تكون مجموعة في رأي العين وذلك إذا كان معناك، معنى لا تحتاج أن تصنع فيه شيئا غير أن تعطف لفظا على مثله، كقول الجاحظ« جنّبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا، وبين الصدق سببا، وحبّب إليك التثبت، وزيّن في عينيك الإنصاف،...»[2]

---

[1] المصدر السابق ص96.

[2] المصدر السابق ص(96 97) .

ممّا يظهر أنّ مسألة الرّبط في الجملة، أثيرت بصفة قوية لدى منظري النّحو، فقد شكّلت نقطة انطلاق قوية بالنّظر لما لها من تأثير واضح على مسار التقلّبات الداخلية والشكلية في إبراز المعاني الجزئية وغير المقصودة داخل النّص مهما كانت لغته وجنسية مؤلفيه، إنّ العطف لا يخرج عن مدار واحد وهو أن ترتبط المتتالية المكتوبة أو المنطوقة بالأولى عن طريق رابط يعدل ميزان التأليف المفضي إلى إفـــــادة، تتحدّد عن طريق ما يسمّى لدى النحاة بالمعيار الإعرابي، الذي يجسّد المشاركة في إطار حكم الإبانة عن المعاني في مجال التأليف الكلّي للجزء الأول والثاني المترافقان في إطار الحكم الإعرابي، يكون ذلك بحسب كلّ التقلّبات الطارئة على الجملة داخل النص من وجهة الفاعلية أو المفعولية.

إنّ امتزاج مزية اللفظ والنظم، تنعقد عند بعض القدامى عن طريق ما تسديه حلّة اللفظ في بعض الأحيان من استحسان في التأليف، ولكن قد يخطأ الكلام موضعه فيتّجه اللّفظ إلى تأدية غرض ليس هو المقصود، كما يذهب صاحب الدلائل أيضا إلى وقوع الشبهة في الكلام الحسن لفظه ونظمه فهناك تقع معضلة عـــدم التفريـــق والظن في الحسن أهو اللفظ أم النظم «...الفرق بين أن تكون المزية في اللفظ، وبين أن تكون في النّظم = باب يكثر فيه الغلط، فلا تزال ترى مستحسنا قد أخطأ بالاستحسان موضعه،

فينحل اللّفظ ما ليس له، ولا تزال ترى الشّبهة قد دخلت عليك في/الكلام قد حسن من لفظه ونظمه، فظننت أن حسنه ذلك كلّه للّفظ منه دون النظم».[1]

رغم أنّ القدامى لم يتركوا كبيرة ولا صغيرة تخص الجملة إلا وبحثوا جزئياتها ومدى تفاعلها الإعرابي الداخلي المقصود منه ترشيد المعنى المنطوق، كان ذلك بحسب مدارات المدارس النّحوية لكن الشيء الذي عجز عنه القدامى دون عبد القاهر الجرجاني الذي فتح مجالا رحبا بخصوص استعمال الجملة والجمل لإدراك القصور السائد وتخطيه، فقد أنشأ نظرية النظم متداركا موجّها إلى ضرورة الاتجاه إلى النص كوحدة عضوية تخدم المعنى المراد، حيث استخدم القواعد النحوية للإبانة عن هذا المقصد، حيث ظهرت جهوده بصورة واضحة في تقاربها مع الآراء الغربية الحديثة التي أسست لعلم النص أو ما أطلق عليه بنحو النص وذلك بنظرته إلى النص ككلّ موحّد كما فعل ذلك فان دايك (Van Dijk)« النّحو التقليدي لم يدع صغيرة، ولا كبيرة في الجملة إلاّ وتناولها سواء من حيث التصنيف إلى إسمية وفعلية وظرفية وشرطية أو جملة مركّبة أو بسيطة، أو جملة أساسية أو أخرى تحويلية أو تامة أو ناقصة ... وظلّ عاجزا عن البحث فيما يتخطّى هذه الوحدة من الكلام، فجاء

[1] المصدر السابق ص(98 99).

علم قواعد النّص ليرصد العلائق المختلفة التي تضم الجمل بعضها إلى بعض، من روابط زمنية ومكانية، وتركيبية و ما يتّصل منها بالمضمون خاصة».[1]

من خلال إعطاء المثال التالي الذي أورده عبد القاهر الجرجاني بخصوص استعمال أدوات الربط في الجملة، تتّضح التقلّبات الطارئة بخصوص عملية الإشراك داخل الجملة بالمفهوم العربي والترابط بالمفهوم الغربي، يكون لنا ذلك بتقريب المثال مع ما جاء به فان دايك

فاستعمال أداة (Van Dijk).الرّبط حرف العطف "الواو" يظهر من المثال الذي أورده الجرجاني: "مررت برجل خلقه حسن "و" خلقه قبيح.

تتكوّن هذه المتتالية من جملتين، الأولى واقعة موقع المفرد، أمّا الجملة الثانية فهي معطوفة عليها، لها موضع من الإعراب، ففي هذه الحالة فحكمها في الإعراب يكون حكما تابعا للجملة الأولى، كما أنّ انعقاد العطف يجري جريان عطف المفرد على المفرد، الأمر الذي يستدعي بالضرورة ورود وثبات "الواو" بالجملة لوجه الحاجة الملحة، فجملة " خلقه قبيح" قد أشركت الجملة الأولى" "مررت

[1] في نظرية الأدب وعلم النص بحوث وقراءات إبراهيم خليل الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الإختلاف ط1 2010 ص216 .

برجل خلقه حسن" في الحكم كونها في موضع جر بأنّها صفة للنكرة.[1]

إنّ استعمال أدوات العطف في المتتاليات الجملية يسوق إلى تبرير المعنى والتدليل عليه، حيث أنّها تخضعه إلى مراتب التفريق المستسقاة من الكلام، يكون ذلك في إطار القوانين النّحوية التي من شأنها أن تجسّد أطر المضمون المراد والتوجيه لغير المراد عن طريق وسائل أخرى تندرج تحت مضمون البلاغة التي تسهم بشكل قويّ في إبراز الجوانب الدلالية المحضة المنطوية تحت نفس التآليف المسترعاة في إطار الإبانة الإعرابية «لأنّ دلائلية التمثيل النّحوي هي ما تكوّن أحد أجزائها من نظام علامي دلائلي يتصل بكامل البناء وخضوعه لشروط الإجراء والتجريد والتمثيل، وذلك متى اعتبرنا النظام الإعرابي كلاّ واحدا متماسكا يتكوّن من سلاسل مسترسلة مركبة من الأنظمة الفرعية القابلة لنفس الوصف والحكام والقوانين»[2]. لنرى المثال الذي أورده فان دايك (Van Dijk):

"جون أعزب، فهو إذن غير متزوج".

الجملة تحتوي على محال إليه واحد دون غيره ألا وهو "جون" فكونه أعزبا لا يستدعي شيئا آخر سوى معنى أنه غير متزوج،

---

(1) ينظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص12 .

(2) دروس في أصول النظرية النحوية العربية من السمات إلى المقولات أولولوبية الوسم الموضعي المنصف عاشور مركز النشر الجامعي 2005 ص223.

لذلك فمفهوم أعزب يحتوي في كيانه المعنوي الداخلي على غير متزوج.

المدرسة العربية عبد القاهر الجرجاني	المثال: مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح زيد قائم، وعمرو قاعد العلم حسن، والجهل قبيح	إنّ المحال إليه في الجملة هو نفسه " الرجل النكرة"، أيضا فالصفتين المتضمنتين في الجملة الأولى والثانية المربوطة بأداة الوصل "الواو" تتعلقان بمحال إليه واحد و هو الرجل. الواو هنا أفادت الإشراك. الواو في جملة " زيد قائم، وعمرو قاعد لم تفد الإشراك لكون أنه من غير المعقول أن نتحدث عن جمع صفتين في حديث واحد يتقاسمه شخصين أحدهما واقف و الآخر قاعد، كذلك الشأن بالنسبة للمثال الثاني، فحسن العلم لا يلتقي وقبح الجهل، فترك العطف في المثالين بالأداة أو الإتيان به أمر واحد، لعدم ثبوت الإشراك الذي أشرنا إليه في المثال السابق.
المدرسة الغربية فان دايك	جون أعزب، فهو غير متزوج. جون أعزب، إذن فقد اشترى كثيرا من الأسطوانات	إنّ المحال إليه في الجملة هو نفسه "جون"، كما أن مفهوم أعزب يتضمن مفهوم غير متزوج، الحالتين الأولى والثانية مرتبطتان بالشخص "جون" المتحدث عنه؛ إنّ دافع العزوبة جعل جون يقتني الوسائل الترفيهية المتمثلة في الأسطوانات فارتباط العزوبة بالوسائل الترفيهية من الناحية المعقولية وارد ، وهذا ما يطلق عليه فان دايك (Van Dijk) تعالق الوقائع التي تشير إليها القضايا المحتملة في الواقع، كما أنّ هذا الترابط لديه تتحكّم فيه شروط منها: الترتيب الزمني للأحداث وكذا علاقة السبب والنتيجة أي كلّما كان الجزء الأول شرطا كافيا للناتج كانت الوقائع متعالقة.

من خلال المثالين يتّضح أنّ:

1. الترابط يستعمل عند فان دايك(Van Dijk) للإشارة إلى تلك العلاقة الخاصة التي تحكم الجمل في إطارها الدلالي والعام.[1]

2. الوصل "الإشراك" يستعمل عند عبد القاهر الجرجاني للإشارة إلى تلك العلاقة الضرورية التي تتنامى قدرات تواصلها تحت ما تخلّفه أداة الوصل من أثر فعال في تعليق الكلم بعضه ببعض، وتضمينه مقاصد تولّد ظواهر لغوية لم تكن مقصودة، تكون على سبيل الإبداع من طرف متلقي الرّسالة. [2]

3. إنّ التقلّبات الطارئة على الجملة، لدى عبد القاهر بحسب تبدّل الأداة وتنقّلاتها عبر مسارها تجعل معنى الجملتين المتواردتين المؤلفتين في سياق واحد، ولكن بفاعلين ظاهرين تتباعدان في المضمون إذا كانتا تحتويان صفتين أو حالين مختلفين، فقيام زيد وقعود عمرو حدثين مختلفين لمسميين، فالمشاركة التي تفيدها "الواو" في هذه الحالة زالت، وأصبح الإتيان بها وعدمه سيان.

4. فان دايك(Van Dijk) يتحدّث في نفس السياق عن التعالق الذي أورده الجرجاني ولكنّه أهمل دور الأداة في كثير من الأحيان مركزا على إيفاد أمثلة محتملة، القصد منها لمّ الأحداث الكثيرة المتنافرة في

---

[1] ينظر دلائل الإعجاز الجرجاني ص222.

[2] ينظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ص (3231).

أحداث الكلام؛ لأنّ الشرط والنتيجة الصفتان المميّزتين للترابط غير واردتين في أحيان كثيرة.

إنّ انشغال علماء اللغة القدامى، بما يسمّى بالإخبار، كان نتيجة تفاعلات لسانية توزّعت نبرتها بحسب المدارس، فمشكلة العود بإحالة الكلام إلى مخبر واحد، توحي بجمع أحداث وصفات كثيرة له، يكون ذلك بحسب ما أورده عبد القاهر الجرجاني بإحضار رابط مهم تتعدّى مهمّته في الجملة حدّ الأثر الواحد إلى الجمع المثال:

" هو يقول ويفعل، يضرّ وينفع، يسيء ويحسن، يأمر وينهي، يبيع ويشتري...وأشباه ذلك

الواو / مستعملة كرابط في جملة "يقول ويفعل"

هو/ ضمير منفصل= مخبر عنه – محدث عنه.

يقول /فعل مضارع يعبّر عن حدث رئيسي وهام في الجملة وهو القول المرتبط بكينونة لسانية محدثة قبليا، مرتبطة بدورها بمزايا فسيولوجية، يملكها الشخص المتحدّث الذي يفسّرها عن طريق النطق بها محدثة لأثر ثان بعدي.

الواو حرف عطف = رابط بين حدّي الحدثين الأول والثاني.

الأول : يتمثّل في حدث "فعل القول".

الثاني: يتمثّل في حدث "فعل الفعل" (الإنجاز).

ومنه يظهر أنّ عبد القاهر الجرجاني قد تقاطع في تحليله مع المدرسة الغربية، بخصوص الأهمية التي يرعاها الرّابط " الواو" في تحديد مسار الجملة التي تأتلف من حدثين أو أكثر.

كما أنّ الإحداثية التناظرية، المستقاة من أيّ بنية تركيبية يكون حرف " الواو" أحد أجزاءها، تمهّد لبناء الوحدة التعالقية للنّص مهما كان نوعه وغرضه.

إنّ رابط الوصل يؤلّف بين الأسماء والأفعال ثمّ الجمل بأنواعها، فلا مزية للمركبات المتتالية إن تقطّع وصل معناها واقتصر على منطوق غير مفيد، فالجملة تبقى قاصرة لا يمكن أن تبلّغ خطابا؛ لأنّ تأليفه وإرساله في مزايا متقطّعة عبر جمل غير مرتبطة، لا يحدث ما أسماه عبد القاهر الجرجاني بالتركيب المنشأ للكلّ المتآلف، المتعالق، هذا التركيب لا يتأتّى دون إقران أحد الروابط الوصلية بالكلام المؤلّف المرسل.

فالقول والفعل في المثال السالف، حدثان ارتبطا فعليا بمحدّث عنه واحد دون إشراك، لم يكن ذلك بتتابع الفعلين في جملة واحدة لولا أنّ الرابط المستعمل الواو أوجب له الفعلين بزيادة الجمع، حيث أنّ الحركتين كانتا في ظرف واحد، فلو قلنا "هو يقول فيفعل" للمسنا شيئا آخر وهو استئناف الحركة الذي يقتضي التتابع وليس الجمع المنتهي لشخص واحد.

إنّ الصّلة القوية التي أحدثها حرف "الواو"، زادت الجملة اشتباكا واقترانا« حتى لا يتصوّر تقدير إفراد في أحدهما عن الآخر و ذلك في مثل قولك:" العجب من أن أحسنت وأسأت ويكفيك ما قلت وسمعت و"أيحسن أن تنهى عن شيء وتأتي مثله" وذلك أنّه لا يشتبه على عاقل أنّ المعنى على جعل الفعلين في حكم فعل واحد».[1]

ومن البيّن في ذلك قوله:

لا تطمعوا أن تهينونا و نكرمكم وأن نكف الأذى عنكم و تؤذونا

ازداد معنى الجمع في " الواو" قوّة وظهورا، وكان الأمر حينئذ صريحا وذلك أنّك إذا قلت " هو يضرّ وينفع"، كنت قد أفدت "بالواو" أنّك أوجبت له الفعلين جميعا، وجعلته يفعلهما معا ولو قلت " يضرّ ينفع" من غير "**واو**" لم يجب ذلك، بل قد يجوز أن يكون قولك "ينفع" رجوعا عن قولك " يضرّ" وإبطالا له.

إنّ مختلف أنواع التراكيب المحتوية على ضروب المعاني، تتعدّد بتعدّد الحالات التي تنجلي بطرق استعمال كلّ الأدوات، التي تحدّد مسار المعنى بناء على الشكل الهندسي والوضعي للّفظة في حدّ ذاتها وكذا تكوينها وتقلّباتها غير المنتهاة في الجملة التي تقوم على الرّبط باختلاف أساليبه، المنشأة عن طريق تلازم حدود الجملة بالوصل التشريكي الذي بيّنه فان دايك(Van Dijk) مستغلا فرصة

[1] المرجع السابق النّص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي فان دايك ص83.

إبراز جميع الأدوات التي من شأنها أن تؤدي وظيفة التشريك داخل الجمل المتعالقة، و التي تتآلف فيما بينها لتكون الكلّ النّصي.

فالوصل التشريكي لديه يعتمد على أدوات منها حرف "الواو" وحرف "أو" وأداة التعليل " لأنّ" و "من أجل ذلك" كلّ هذه الوسائل المستخدمة في أداء مهمة الرّبط، استعملها عبد القاهر الجرجاني في أداء نفس المهمة الوصلية (الرّبطية) في تكوين جمل مركّبة وإظهارها عن الجمل البسيطة، كما أنّ بعد الرّبط الذي تقاطعا فيه عبد القاهر الجرجاني وفان دايك (Van Dijk) تظهر تجلياته في استعمالهما عنصري المرجعية والعود بالضمير داخل المتواليات الجملية المؤدية إلى كلّ موحّد، القصد فيه تماسك نسج الخطاب وترصيف الدوال عبر مسيرة خدمة النّحو عند الأول بالتعليق والدلالة لدى الثاني بالتضمن.

وإذا وقع الفعلان في مثل هذا في الصلة، ازداد الاشتباك والاقتران حتى لا يتصوّر تقدير إفراد في أحدهما عن الآخر، المعنى: لا تطمعوا أن تروا إكرامنا قد وجد مع إهانتكم، وجامعها في الحصول.

ومما له مأخذ لطيف في هذا الباب قول أبي تمام:

لهان علينا أن تقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا. [1]

من الأدوات التي وردت في كتاب الدلائل "إن وإلاّ"، حيث أنّ رحابة المعنى واتساعه يقتضي ذكرهما في مواضع كثيرة، لا يمكن

[1] دلائل الإعجاز الجرجاني ص226.

إهمالهما، ففي الآية الكريمة:﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآَنٌ مُبِين** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2]، التي استدل بها صاحب كتاب دلائل الإعجاز، لا يمكن فصل إن عن إلاّ فكلاهما يستدعي الآخر فالإثبات والتأكيد في الكلام تنحصر زواياه بهما معا، فالإثبات ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأوحي إليه ذكرا وقرآنا والتأكيد الثّاني هو أنّه من خلال الأدتين، بعّدت عن النبي صلى الله عليه وسلم صفة تعليمه الشعر.

الفائدة الإيجابية من أداة النفي أنّها تحملت نفي هذه الصفة وإثبات أن ما يتلوه هو الوحي الخالص مع مسح كل شارات الهوى عنه. إن هاتين الأدتين وجهت الخطاب المرسل إلى معنيين في الكلام النفي والإثبات، فالوقوف عند الحد الأول من الآية الكريمة ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ** ﴾القصد فيه واضح وهو نفي تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الشعر، أمّا الحد الثاني: فقد ورد كتعليل وسبب لنتيجة الغرض منه زحّ صفة الشعر عنه وإثبات الوحي له، حيث أنّ الإثبات في الآيتين جميعا تأكيد وتثبيت لنفي ما نفي فالإثبات ما عمله النبي صلى الله عليه وسلم وأوحي إليه ذكرا وقرآنا تأكيد وتثبيت لنفي أن يكون قد علم الشعر وكذلك إثبات

[1] سورة يس الآية 69.

[2] سورة النجم الآية 3-4.

ما يتلوه عليهم وحيا من الله تعالى، تأكيد وتقرير لنفي أن يكون نطق به عن هوى.[1]

ممّا سبق، يتّضح أنّ الأداتين ساهمت بشكل مباشر في عملية اتساق الكلام وانسجامه، فتحقّقت وحدة النص في نهاية المطاف وعضويته.

إنّ الخاصية النّحوية للأداتين علّلتها الإبانة الإعرابية التي ساهمت في إنشاء الكل الموحّد للنّص، الأمر الذي وضعه صاحب الدلائل تحت ما خلّده باسم النظم والنسج «واعلم أنّه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه "إنّه خفيّ غامض، ودقيق صعب" إلاّ علم هذا الباب أغمض وأخفى وأدقّ وأصعب. وقد قنع النّاس فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة قد ترك فيها / العطف " إنّ الكلام قد استوقف وقطع عما قبله" لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك ولقد غفلوا غفلة شديدة ».[2]

يعود عبد القاهر إلى تفصيل التنظيم الذي يمكّن من تحصيل المدلولات المختفية في أعراض الكلام، برأيه إن لم تتوفر -لدى من أراد فقه اللغة وتحويل تأويلاتها إلى أفعال مقصودة -أدوات نحوية تؤدي به إلى فكّ الألغاز والغموضات المستعصية؛ فإنّه يقع في وضعية يقتنع خلالها بأنّ خلل عدم تحقيق المراد مردّه إلى غيابها، هنالك يظهر عدم تماسك النسق الكلامي المشكّل من طرف المرسل الذي يقصد المتلقي.

---

[1] ينظر دلائل الإعجاز: الجرجاني ص231.

[2] المصدر السابق ص231.

لقد ذهب عبد القاهر الجرجاني إلى تبيين المزية النمطية التي يتميّز بها باب التقديم والتأخير في نسج الكلام وربط أوله بآخره؛ لأنّ بناء الجملة أو الجمل المؤلفة في مختلف الأنساق المركّبة يكون لمعياري التقديم والتأخير حركية دائبة ومستمرة في تأليف ما يروق ويلطف لدى السامع من الكلام يقول: « ... ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيئ وحول اللفظ عن مكان إلى مكان.»[1]

يبعث تحويل اللّفظ أو بعض التراكيب عن أماكنها الأصلية إلى تكوين بنية ذات بعد واحد، من شأنه أن يوصل إلى وحدة نصية، تكوّن حبك المعنى وتسدي خدمة جليلة إلى الكلّ المنسوج مهما كان نوعه شعرا أو نثرا، يورد عبد القاهر "أنّ تقديم الشيء على وجهين": [2] «تقديم يقال أنّه على نية التأخير، وذلك في كلّ شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ... وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له

[1] المصدر السابق ص106.

[2] المصدر نفسه ص106.

بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له ...».[1]

تشكّل هذه الظاهرة لدى عبد القاهر الجرجاني، دورا مهمّا في اتساق وانسجام النّص بالنظر لما تطرحه من تحوّلات داخل التأليف وما تسديه للنّص من خدمة في ضبط معناه التركيبي الذي يتشكّل عن طريق متواليات الجمل التي تؤكد هي الأخرى ضبط مقصديته ومعناه الشامل.

بناء على ذلك فالمعنى يعتبر من الظواهر التي ارتسمت عبر مسار مهم في فكر عبد القاهر الجرجاني، حيث انتقلت من كتابه أسرار البلاغة في ثوب كانت خياطته، التشبيه والتمثيل غير المجازي، حلّت الكناية محلّه، فباقتسامها المجال مع المجاز المحصور حسب صاحب الدلائل في الاستعارة، أصبحت طرفا مهمّا لا يمكن الاستغناء عنه في الأداء ألمضموني، أمّا المجاز فقد حدّ بنقل الحديث عن موضعه الأصلي «الشهرة فيه لشيئين الاستعارة والتمثيل، وإنّما يكون التمثيل مجازا إذا جاء على حدّ الاستعارة ».[2]

[1] المصدر نفسه ص107.

[2] المصدر السابق ص70.

إنّ عدم توقّف الجرجاني عند الحدّ الأوّل، الذي تقمّصت فيه الكناية روح الإنشاء والتأليف لم يكن اعتباطيا وإنّما ارتبط بمعطيات جديدة ولّدت فيه روحا ثانية شكّلت المحور الأساس في بناء ما أطلق عليه بالنّظم؛ لأنّه لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستمله، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ. [1]

ممّا سبق وفي إطار السياق العام يتبيّن أنّه لا يمكن الاستغناء عن النظم باعتباره عاملا يضاف إلى التحويلات الدلالية التي ذكرناها، الكناية والمجاز، لكن من وجهة نظر صاحب الدلائل فإنّه لا مزية بلاغية إلا بالنظم وحده يقول محسن محمد معالي:« فهو يتناول العلاقة بين الكلمات من خلال اتصال النّحو بالبلاغة على نحو ما نراه في تناوله لحروف الجر ودلالتها في التركيب، انطلاقا من نظرية التعليق أو النظم، وأهميته في الدلالة».[2]

لقد بنى صاحب النّص مدار تصوّره على سبيل، أنّ النّحو يلتقي والبلاغة في ضبط المعنى، يكون ذلك بالقرينة المنعقدة بينهما في تصوّر كلّ احتمالات الأوضاع الكلامية المحتملة المطابقة لنظام التفسير و التأويل(من حيث التجلي و الغموض)([3]) ، وهذا ما يبرز

---

[1] ينظر البلاغة العربية أصولها وامتداداتها محمد العمري ص354.

[2] العوامل النحوية للجرجاني بين النظرية والتطبيق تح: محسن محمد قطب معالي مؤسسة حورس الدولية ط1 2010 ص 8.

(2) السياق والتأويل من الإشكالية الفيلولوجية إلى الإشكالية اللسانية أحمد حساني مجلة الموقف الأدبي العدد 392 كانون الأول2003ص10.

قدرة عبد القاهر على تأسيس لنظرية، تخطّت كلّ التصورات التي تميّزت بالمعيارية، هدف من خلالها إلى إبراز إعجاز النص القرآني وتحديد الرؤى القاصرة التي جعلت الجملة أساسا قويا لإبراز المعاني.

إنّ العلاقة بين الألفاظ والتراكيب المختلفة، تنبني على أساس مهمّ يتمثّل في التحديد القبلي لنوع التصور، حينئذ تنعقد علاقة التآلف فتنعقد بحسب ما ذهب إليه صاحب الدلائل صورة كلّية، يكون الفضل كلّه للنحو في إبرازها وتحديد مضامينها.

أيضا إنّ بلاغة الخطاب تتأسّس بتوفّر كلّ الوسائل المنتقلة عبر خطاطة اللفظ والمعنى وارتباطهما معا في أداء المقصدية. [1]

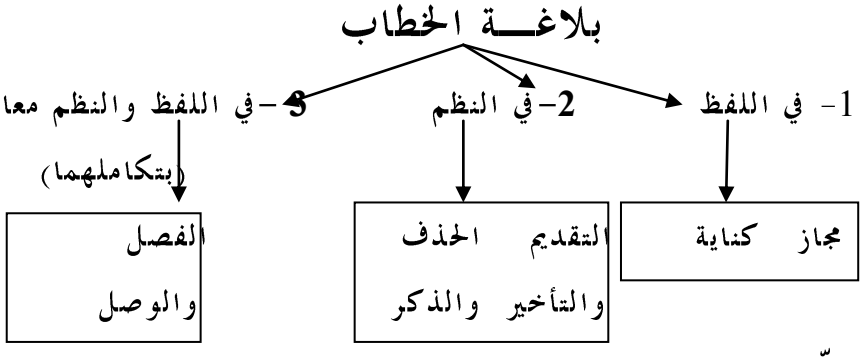

إنّ قضية التبادل المستقراة من خلال التفاعلات الطارئة بين أنماط التبدّل اللفظي، وكذا التغيرات الدلالية (النظمية) تنمّ عن تبيان شكل جديد وهو ميلاد عنصر مهمّ، يؤلّف ما يسمّى بالمقصدية النّصية، المترجمة في حوار متواز يشكّل روح الخطاب وبلاغته في نهاية الأمر.

[1] المرجع السابق ص357.

ومن الأمثلة التي سقاها الجرجاني بخصوص بخصوص استعمال اللفظ والمراد منه دلالة المعنى على المعنى قولهم: "يدخل في الأذن بلا إذن "فالعاقل لا يبعثه شك ولا تأمل آخر في غير الرجوع إلى أنّ المقصود في القول هو دلالة المعنى على المعنى، وأنّه لا يتصور أن يقصد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة.

إنّ تعلّق الجانب الدلالي بالبنية الذهنية لدى المتكلّم يجعل حقيقة المعنى ترتبط بمدى العلاقة الناشئة بين الظاهرة اللسانية في حدّ ذاتها وبين اللغة كأداة فاعلة، حيث تتشكّل في أساليب متنوّعة القصد منها إشباع الرغبة التواصلية المنوطة بالنّص وحده؛ لأنّه الأداة المحقّقة للخطاب، كما أنّ هذا الأخير، تتحكّم فيه حسب ما ذهب إليه صاحب الدلائل، قواعد النّحو؛ لأنّ تفريعه إلى جمل متفرقة يجعله لا يؤدّي المعنى الشامل المراد بين المرسل والمرسل إليه، يذهب أحمد حساني إلى أنّ هذا يعود إلى مستوى دلالة اللفظة ومدى اقترانها بالمعنى الذي تؤديه في إطار ذهنية متكلم اللغة.[1]

والنحو أيضا، يؤسّس لمعرفة مدلول العبارات المنطوقة، وليست معانيه في الإبانة الإعرابية فقط، حيث أورد عبد القاهر الجرجاني مثالا لذلك فيقول: «أنّ البدوي الذي لم يسمع بالنحو

[1] ينظر دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات أحمد حساني ديوان المطبوعات الجامعية 2009 ص11.

قط، و لم يعرف المبتدأ ولا الخبر، يحسن النظم كما لم يحسنه المتقدم في علم النحو». [1]

يورد عبد القاهر الجرجاني لذلك مثلا فيقول: الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن "زيد" مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: "خرج زيد"، وبالانطلاق عن" عمرو" فقلت: " عمرو منطلق"، وعلى هذا القياس= وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللّفظ على معناه الذي يقتضيه/موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض.

ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل. يقول أيضا: "بلغني أنّك تقدّم رجلا وتؤخّر أخرى"، أنّه أراد في أمر البيعة و إتلاف العزم في الفعل وتركه، على ما مضى الشرح فيه.

وإذا عرفت هذه الجملة، فهاهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول:" المعنى"، و" معنى المعنى"، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة –و" بمعنى المعنى"، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر.

[1] ينظر دلائل الإعجاز، الجرجاني ص(222،223).

فقد ورد في كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، أنّ التمثيل «هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر و ذلك المعنى الآخر والكلام ينبأن عما أراد أن يشير إليه». [1]

فالظاهر من منطوق نص الجرجاني وقدامة أنّهما حصر هذه الثنائية في معالجة الظواهـــر المتّصلة بالحقيقة من ناحية والمجـــاز والكناية من جهة أخرى، حيث أنّ المنطق العلمي يقتضي تعميم الثنائية على جميع الظواهر البلاغية معاني وبيانا.[2]

أيضا فقد جعل المجال رحبا، بخصوص اشتغال ثنائية "المعنى" و"معنى المعنى" ليفسّر مختلف ظواهر المعنى المتضمّنة في جميع التشكيلات المتضاربة، على أنّها ظواهر معنوية سجلت قصدا معينا كان للإبانة النّحوية أثرها الفعال على تأديته عبر مسارات النّص في جميع أطره، كما أنّه لم يتناس العلاقة المستفيضة بين البلاغة والنّحو فلا يمكن أن يتصوّر معنى خارج البناء النّحوي، كما أنّه لا يمكن أن تتداعى المعاني المختفية تحت المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه دون إدراك الرّبط المنوط بينهما لما لهما من اتصال قويّ جسّد عبد القاهر الجرجاني خلاصته فيما وسمه بالنظم، هذا ما يجلي أنّه كان

[1] نقد الشعر أبو الفرج قدامة بن جعفر تح: محمد عبد المنعم خفاجي دار الكتب العلمية بيروت -لبنان-1956 ص159.

[2] ينظر الاستدلال البلاغي شكري المبخوت ص57.

واعيا إجرائيا بأنّ "معنى المعنى" قابل للتعميم وأنّ أساس العمليات البلاغية المختلفة استدلالي تتجاذبه القواعد النّحوية بآلياتها المتنوعة.

لقد سبق في هذه المسألة الغربيين، كما أنّ نظرته بخصوص تجلية "المعنى" و"معنى المعنى" أكثر علمية للدّقة التي اكتسبتها لديه؛ لأنّه لم يوجّه المسألة إلى تعديات كثيرة بخصوص إيراد المعنى المقصود وغير المقصود بالنسبة لمعنى المعنى، عكس ما جاء في كتاب " معنى المعنى " The meaning of meaning لصاحبيه أوجدن (Ogdan) وريتشاردز (Richards) اللذان أورد حوالي اثنين وعشرين تعريفا خاصا بكلمة معنى، حيث نذكر على سبيل المثال أنّه:

1-المفردات التي تقرن بمفردة ما في القاموس.

2-خاصية جوهرية.

3-المعنى الإضافي الذي توجبه اللفظة علاوة على معناها الأصلي.

4-ذاك الشيء الذي يجب أن يقصده مستعمل الرمز.

5-ذاك الشيء الذي يقصده مؤوّل الرمز... [1]

يتضّح مماّ تقدّم، أنّ الرؤية العربية كانت حاضرة بقوة وبروح علمية تنمّ عن نباهة، كما أنّ المعنى باعتبار قوة تأثيره في عملية التواصل بحثها عبد القاهر الجرجاني باهتمام مستفيض باعتماده

[1] اللسانيات النشأة والتطور أحمد مؤمن ص(238، 239).

عملية التأسيس لنظرة جديدة، استعمل فيها النحو الوسيلة الأولى، لإخضاعها وبعث مختفيها وإجلاءه في قالب تتحكّم فيه وحدة النص المتماسكة من خلال نمطية الجمل المنتشرة فيه.

أمّا بشأن التقارب الذي لمحناه بين ما جاء به هؤلاء الغربيين وعبد القاهر، فاستقراء ما جاءت به المدرسة العربية والغربية يبدي ما يلي:

-من ناحية تخصيص المعنى وتوجيهه فقد لمحنا قدرة تحكّم عبد القاهر في استيعاب المجال الرّحب للمعنى باستعماله النحو كأداة لفكّ كلّ ما غمض واختفى، فكانت النتيجة أنّه ذهب بعيدا إلى تأسيس نظرية النظم، التي كان مجالها إبراز معجزة كلام الله.

-لقد سبق الغربيين بخصوص تبيين الدال ولمدلول والدلالة، حيث ربط هذه المسالة بالبلاغة (الاستعارة، الكناية، التشبيه...)، أمّا الغربيون وبالنظر إلى ما سبق عند أوجدن (Ogdan) وريتشاردز (Richards)؛ فإنّه رغم ذكرهما لقضية "معنى المعنى" بلفظها إلاّ أنّ عدم تمكّنهما من حصر مجال تأدية ما يمكن من معنى لاسيما بخصوص انفتاح المعنى على مقاصد أخرى جعلهما غير قادرين على ضبطه، حينئذ ذهبا إلى إعطاء المعنى دلالات غير محدودة، فكانت النتيجة أنّ الرؤية العربية مثّلت هذه المسالة؛ لأنّ المعنى بحسب الجرجاني يتحكّم فيه الكلّ النصي "التركيب"، ممّا يجعل مباني المعنى المختلفة لديهما

تموت داخل الإطار العام الشامل الذي كان لتآلف البلاغة والنحو الأثر الفعال في ترشيده لخدمة النص.

لقد سبق عبد القاهر هؤلاء، حيث أنّ نظرته الشمولية كانت أكثر علمية لدقّة ما جاء به، بخصوص تعليق المعاني بعضها ببعض لتؤلّف في النهاية نظما قائما بذاته، أساسه المميّز الفكري ومنطلقه الترتيب تحت رعاية النحو وغايته التبليغ، أمّا النظرة الغربية فقد شيّدت على منطلقات كثيرة فتفرّقت سبل المعنى للتوزّع بين القبول والرّد، بين الفهم والتضليل هذا ما يؤكده محسن محمد معالي بقوله:« سيطرت نظرية النظم على فكر الجرجاني... لأنّها تمثّل نظاما فنّيا متكاملا وأنّ النّحو هو الذي يستطيع أن يقدّم لنا احتمالات الأوضاع الكلامية التي ترتبط ببعض في وحدة المعنى من المعنى وفهم المعنى لا يتمثل في الذهن إلاّ بتصوّر العلاقات بين الألفاظ و التراكيب المختلفة».[1]

يتجلّى أنّ النّظرة العربية بخصوص بحث ظاهرة المعنى، تجسّدت في مصنفات عديدة، كان كتاب الدلائل المجال الرّحب الذي استوعبها، حيث أورد لذلك استدلالات كثيرة تضمنتها كلّ الأبواب البلاغية والنحوية، فكان بحثه على سبيل المثال في الوصل والفصل، التكرار، الحذف وعود الضمير...الخ. يهدف إلى تركيز

[1] العوامل النحوية للجرجاني بين النظرية والتطبيق ص7.

حدّ المعنى وصياغته لخدمة النص ككلّ مرتّب لا يمكن تحصيله في إطار اعتماد الجمل المجزأة دون ربطها، هذه النّظرة القديمة المستوحاة من خلال فقرات "الدلائل" اعتمدت على المعيار الفكري في بحث سبل تفرّق المعنى عبر التراكيب المسندة بعضها لبعض، الشيء الذي ينبأ على أنّ ما جاء به الغربيون يبقى مرهون على قياس تراث سابق.

يحصل أنّ المدرسة العربية والغربية تقاطعتا في كثير من المسائل كما أنّ تقاربهما كان نتيجة لما يستوجبه علم التواصل البشري في حدّ ذاته، لأنّ مسألة الخطاب تبقى رهينة التجاذب المستطرف المعقود بين المرسل والمرسل إليه ابتغاء الحجة والإقناع، حتى وإن تعقّد مجال المعنى واختفى.

هذه الصورة النّصية التي اشتغل عليها فان دايك (Van Dijk) بخصوص اعتماده الدلالة وبحثه مختلف بنيات الخطاب في إطار النص كانت لها مكانة قوية في فكر الجرجاني؛ لأنّه كما سبق ذكره أنّ تناص الفكر البشري وتشابه الحقائق واختلافها يتجسّد في مثل هذه الطروح النّصية التي تنوّعت معانيها وانجلت عن طريق معيارين مهمين اعتمدا لدى الغرب والغربيين بصفة جلية البلاغة والنّحو.

يظهر من خلال ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ بعد التعامل مع مقتضيات التقلّبات الناجمة المنضوية عبر مختلف الخطابات تنامت بشكل جيد من

خلال الاهتمامات البلاغية النظمية Syntagmatique،[1] التي تجسّدت في النقلات المعروفة لديه والمجسدة في اعتماده منظور جديد تمثل في محاولة استدراج الكناية وسحب الاستعارة من الإعجاز لكون أنّها قليلة في الخطاب، ممّا أرغمه على بحث سبيل جديد آخر يستجيب لطبيعة الأسئلة البلاغية، حيث عمد إلى ربطها بمقتضيات النظم النحوي وجعلها تابعة له، فلم تعد القيمة موجودة في اتجاه تنامي الغرابة بل في اتجاه مناسبة الكلام للمقاصد.

أيضا يتّضح أنّه بحث في كتابه الأسرار عن معايير بلاغة الشعر دون أن يوجّه اهتمامه إلى الغرض الاعجازي، أمّا في الدلائل، فقد ذهب إلى بحث معايير الشعر من منظور تحقيق معجزته البلاغية، ليصل إلى إبراز معجزة القرآن الكريم.

ممّا يجعل اعتماده التخييل – الذي يجد مرجعية مسعفة في نظرية المحاكاة– في الأسرار من وجهة بحث المعنى البلاغي، أمّا النّحو بمفهومه الواسع فقد وجهه إلى إبراز المقاصد النّصية في ترتيب الكلّ بجميع طوارئه المتعالقة معلنا في النهاية نظمه ونسجه وحبكه. [2]

نخلص في هذا الفصل، إلى أنّ القواعد النحوية التي اعتمدها عبد القاهر الجرجاني تؤثّر بشكل مباشر في كشف الأسرار المحتمية بنسيج نظام اللغة تحت مباني لا تحصى، فالنّحو وحده الكفيل بتفكيكها وإرشادها لتتعاضد فيما بينها

---

[1] السيميائية مدرسة باريس جان كلود كوكي تر: رشيد بن مالك دار الغرب للنشر والتوزيع 2003 ص 212.

[2] ينظر البلاغة العربية أصولها وامتداداتها محمد العمري ص354.

لتؤدّي الرّسالة التواصلية المقصودة بين طرفي الخطاب، محافظة على روح التلاحم والارتباط الدقيق بين كامل أجزاء مبانيها رغم تعدّدها وتناثرها في النّص.

يذهب محمد مليابي إلى« أنّ النّحو بشكل عام هو العلم الذي يفتح ويكشف عن خبايا المباني اللغوية وكيفيات ارتباطها ووسائل تماسك الدلالات وانسجامها.

وانطلاقا من هذا الفهم فإنّ مهمّة النّحو أن يجلي عبقرية النظام اللغوي للنّص وقدراته على التعبير الدقيق من خلال وسائل التماسك النصي التي تتصل بالشكل و الدلالة، تلك الوسائل التي تساعد النص على تلاحم أجزاءه وترابطها ليعطي معناه للمتلقي كما أراده المبدع».[1]

كما يمكن إن نجلي أيضا أنّه في اللغة العربية لا يمكن إن نرجع صواب المعنى وتحصيله إلا للنحو وما يتبعه ،كما أنّ الخطأ في تحصيله يرجع الخطأ فيه إلى عدم الدراية به وبما يتصل به.[2]

[1] ظاهرة الحذف في الدراسات اللسانية الحديثة محمد مليابي بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه جامعة وهران (2006،2007) ص327.

[2] معجم إعراب مفردات ألفاظ القرآن الكريم سميح عاطف الزين دار الكتاب المصري للطباعة والنشر والتوزيع ط1 2010 ص45.

الخاتمة

الخـــــاتمـــــة:

إنّ التعرض لمسألة من مسائل التراث ووصفها وتحليلها في إطار ما أنشأه الفكر الغربي الحديث، أشكل علينا سبل البحث، لما يوجد من تداع للأفكار وتقارب طرحها.

هذه العلائق المتشابكة بين الفكرين تجعل ما توصلنا إليه من خلال تصورات في بحث موضوع نحو النص، ينساق إلى محاور بحثية جديدة، تثري مجال الدراسة واسعا في قضايا التراث، كما أنّها تكشف عن بعض آثار نوادره وقضاياه التي تجلّت لدى كثير من قدمائنا وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني.

و استنادا إلى ما درسناه حول الموضوع توصلنا إلى النتائج التالية:

– إنّ هذه الدراسة تمحورت حصيلتها حول تجسيد الرؤية المحورية الأولى وهي تقييد الأدوات النصية التي اعتمدها علماء الغرب وعلى رأسهم مؤسس نحو النص فان دايك (Van Dijk)، ودي بوجراند (Robert De Bojerand)، وهاليداي ورقية حسن، بخصوص وصفها وتحليلها داخل الجملة والنظر لمدى ارتباطها وتبيين علاقاتها الشكلية والمضمونية في مجال تحقيق مغزى الخطاب المشكّل في نفس الإطار.

– تركيز مستوى الفهم والاستقراء النّصي على المدار الدلالي و التداولي لدى الغربيين، بينما كانت النظرة العربية في بداية الأمر تتّسم باقتصارها على نحو الجملة المتّصف بالاطراد، والمعيارية، والإطلاق. وعدم تجاوز في بحث العلاقات حدود الجملة؛ بينما نحو النّص عند الغربيين لا يعترف بهذه الصفات، فهو بالنسبة لاطراد القاعدة يتجه إلى اعتبار المؤشرات الأسلوبية هدفه؛ لأنها تبعث لدى المرسل صفات ذاتية تفرده عن غيره، كما أنّه ينأى عن المعيارية والإطلاق، فهو نحو يتجه إلى التطبيقية؛ لأنّ مجاله الرّحب يظهر خلال اكتمال

القصد الكلّي لأداء النص المشكّل في متواليات متّسقة و منسجمة عن طريق الأدوات النحوية، أضف إلى ذلك فهو يتجاوز القصور المنسوب إلى نحو الجملة؛ لأنّ أجزاء النّص لا تظهر إلاّ واحدة في نهاية تحقيق المعنى أو ما يعرف اليوم في الدرس اللساني المعاصر بالقصد التداولي.

– النحو العربي علم نصي لتعلقه بالقرآن الكريم والشعر، فحينئذ فإنّ ما قدمه في شأن التماسك والسبك لا يمكن إغفاله، حيث إنه بالأدوات النحوية المتنوعة المقصودة في العطف، الإحالة و الإشارة أدى دورا رائدا، شرقت من خلاله الرؤية النحو نصية المبكرة، حيث تمثلت واضحة من خلال عبد القاهر الجرجاني .

أما بحسب الرؤية الغربية فقد ذكر إضافة إلى هذه الأدوات الاستبدال وأدوات المقارنة، الحذف، لكن بتصفح كتاب الدلائل مصدر بحثنا، فإنّ هذه الأدوات وردت بلفظها ومعناها.

– إنّ رؤية عبد القاهر الجرجاني كانت أكثر شمولية لعلميتها ودقّة ما جاء بها، بخصوص تعليق المعاني بعضها ببعض وتآلفها في النهاية لتكوّن نظما قائما بذاته، أساسه المميّز الفكري ومنطلقه الترتيب وغايته التبليغ تحت رعاية النحو، أمّا النظرة الغربية عموما، فقد شيّدت على منطلقات كثيرة فتفرّقت سبل المعنى للتوزّع بين القبول والرّد ، وبين الفهم و التضليل.

– ممّا حصل كذلك أنّ المدرسة العربية والغربية تقاطعتا في كثير من المسائل؛ لأنّ مسألة الخطاب تبقى رهينة التجاذب المستطرف المعقود بين المرسل و المرسل إليه ابتغاء الحجة والإقناع، حتى وإن تعقّد مجال المعنى واختفى.

– إنّ الصورة النّصية التي اشتغل عليها فان دايك(Van Dijk) بخصوص اعتماده الدلالة وبحثه مختلف بنيات الخطاب في إطار النص كانت لها مكانة قوية

في فكر الجرجاني؛ لأنّ تناص الفكر البشري وتشابه الحقائق واختلافها يتجسد في مثل هذه الطروح النصية التي تنوّعت معانيها وانجلت عن طريق معيارين مهمين اعتُمدا لدى العرب والغربيين بصفة جلية هما البلاغة والنّحو.

– الرؤية العربية، كانت حاضرة بقوة وبروح علمية تنمّ عن نباهة، بخصوص بحث مسألةّ المعنى، باعتبار قوّة تأثيره في عملية التواصل حيث حظيت باهتمام كبير من طرف عبد القاهر الجرجاني، الذي اعتمد عملية تأسيسية ذات نظرة جديدة، استعمل فيها النحو الوسيلة الأولى، وأخضعها لقالب تتحكّم فيه وحدة النص المتماسكة من خلال نمطية الجمل المنتشرة فيه.

– إنّ تعلّق الجانب الدلالي بالبنية الذهنية لدى المتكلم يجعل حقيقة المعنى ترتبط بمدى العلاقة الناشئة بين الظاهرة اللسانية في حدّ ذاتها وبين اللغة كأداة فاعلة، حيث تتشكّل في أساليب متنوّعة، القصد منها إشباع الرغبة التواصلية المنوطة بالنّص وحده؛ لأنّه الأداة المحقّقة للخطاب، كما أنّ هذا الأخير، تتحكّم فيه حسب ما ذهب إليه صاحب الدلائل، قواعد النّحو؛ لأنّ تفريعه إلى جمل متفرقة يجعله لا يؤدي المعنى الشامل المراد بين المرسل والمرسل إليه.

– الوصل التشريكي لدى فان دايك (Van Dijk) (كتابة هذه الأسماء بالفرنسية بين قوسين)، يعتمد على أدوات منها حرف "الواو" وحرف "أو" وأداة التعليل "لأنّ" و "من أجل ذلك" كلّ هذه الوسائل المستخدمة في أداء مهمة الرّبط، استعملها عبد القاهر الجرجاني في أداء نفس المهمة الوصلية (الرّبطية) في تكوين جمل مركّبة وإظهارها عن الجمل البسيطة، كما أنّ بعد الرّبط الذي تقاطعا فيه عبد القاهر الجرجاني وفان دايك (Van Dijk) تظهر تجلياته في استعمالهما عنصري المرجعية، والعود بالضمير داخل المتواليات الجملية

المؤدية إلى كلّ موحّد القصد منه تماسك نسج الخطاب وترصف الدوال عبر مسيرة خدمة النّحو عند الأول بالتعليق والدلالة لدى الثاني بالتضمّن.

– ذهب صاحب الدلائل إلى أنّه لا يمكن الفصل بين أجزاء الكلام؛ لأنّ أصله عنده يتألف ويكتمل حين تتداخل خصائصه المختلفة، فالجمل المكوّنة له تنحصر قدرتها في تأدية معنى واحد منفصل، وقد لا تؤديه أحيانا، فالمتتالية الجملية حين توضع وضعا صحيحا قبل نطقها، ثم تصرف إلى موضعها المراد، فتكون سابقة عن أخرى أو لاحقة لها أو يخيّر مكان وضعها قبليا، حينئذ تصب هدف الكلام، فتنجلي فصاحته في مدار مهمّ ألا وهو النّص.

– لقد أثيرت قضية السياق لدى الجرجاني بقوة، حيث أنّ الكلام لا ينعقد لديه دون مراعاته لمختلف الأغراض؛ لأنّها لا تتوارد منفردة، فذكر اللّفظ وعرضه لا يكون له أثر وفعالية على الإطلاق دون استدعاء اللفظ للمعنى، فلا يستطيع مؤلف الكلام أن يطرق بابا دون أن يربط الشكل بمضمونه، الكلّ بجزئه، وكذا الارتباط التراتبـــي الملزم لديه بالنّحو الذي يلزم على أنّ استعمال التقديم في غير موضعه لا يروق، كما أنّ التنكير كذلك لا يمكن وضعه في غير الموضع الذي وضع له، لذلك فالموضع يربط المعنى ويقيده.

تتقاطع نظرة دي سوسير (F. De Saussure) مع صاحب نظرية النظم، لاسيما فيما يتعلّق بثنائية اللغة والكلام، التي تركّزت حولها الدراسات اللسانية الوصفية الحديثة التي حملت في رحمها لسانيات النص أو ما يطلق عليه بنحو النّص.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

أ ــ العـــــربيـــــــة:

- الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر، محمد سماحة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
- الاستدلال البلاغي، شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2010.
- أسرار البلاغة، محمد رشد رضا، دار المعرفة، بيروت-لبنان- 1981.
- الأصول الأدبية في كتاب البيان والتبيين، محمد بركات حمد يأبو علي، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، عمان، 1979.
- انفتاح النسق اللساني، دراسة في تداخل الاختصاص، محي الدين محسب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008.
- انفتاح النص (النص والسياق)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1989.
- البديع بين البلاغة واللسانيات النّصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
- البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، محمد العمري، افريقيا الشرق، المغرب،1999.

- بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1996.
- بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، يوسف حسين بكار، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1983.
- البيان والتبيين، الجاحظ، شرح حسن السندوسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (دت)، الجزء الأول.
- تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، عبد القادر شرشار، منشورات مختبر الخطاب الأدبي، الجزائر، 2006.
- تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1997.
- التركيب عند ابن المقفع، في مقدمات كتاب كليلة ودمنة، دراسة إحصائية وصفية، المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر، 1982.
- التصريف موضوعاته ومؤلفاته، مختار بوعناني، ط2، دون دار نشر، 1998.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، الجزء الثاني، تح: عمار طالبي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، وزارة الثقافة، 2007.
- خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1996.
- الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط4، الجزء الأول، 1990.

- دراسات بلاغية، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، 2006 .
- دراسات في الشعر والمسرح، بدوي محمد مصطفى، دار المعرفة القاهرة، ط1، 1960.
- دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.
- دروس في أصول النظرية النحوية العربية من السمات إلى المقولات أولولوبية الوسم الموضعي، المنصف عاشور، مركز النشر الجامعي، 2005.
- دلائل الإعجاز، أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، قراءة وتعليق، محمود محمد شاكر، المؤسسة السعودية بمصر، ط2، 1992.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق، محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والإشهار، ط3، 1992.
- دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية –مكة المكرمة- .
- السؤال والجواب، دراسة نحوية وبلاغية وقرآنية، محمد موسوني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2008 .
- شرح الراضي على كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، الجزء الأول.
- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش(ت 643)، مكتبة المتنبي، القاهرة، الجزء الأول، (د ت).

- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، أحمد سليمان ياقوت، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر-، ط3، 1983.
- علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، ج1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000.
- العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده، أبو الحسن بن رشيق المسيلي، القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، وزارة الثقافة، الجزائر، الجزء الثاني، 2007.
- العوامل النحوية للجرجاني بين النظرية والتطبيق، تح: محسن محمد قطب معالي، مؤسسة حورس الدولية، ط1، 2010.
- في أفاق الكلام وتكلم النص، عبد الواسع الحميري، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق –سوريا- ط1، 2009.
- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار الميسرة للنشر والتوزيع –عمان –ط1، 2007.
- في بناء النص ودلالته، محاور الحالة الكلامية، مريم فرنسيس، منشورات وزارة الثقافة، سورية، 1998.
- في رحاب اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2007.

- في نظرية الأدب وعلم النص بحوث وقراءات، إبراهيم خليل الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، ط1، 2010.
- قراءة جديدة لتراثنا الأدبي والثقافي، سعد مصلوح، جدة، ط2 .
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النّص، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، 1998 .
- القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج "متن الألفية "لابن مالك وخلاصة الشرّاح لابن هشام وابن عقيل الأشموني، أحمد الهاشمي، دار الرجاء، عنابة – الجزائر- 1998.
- القوافي، تصنيف القاضي أبي يعلى عبد الباقي عبد الله ابن المحسن التنوخي تح: عوفي عبد الروؤف، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1978 .
- كاشف الخصاصة عن ألفاظ الخصاصة، شمس الدين أبي الخير محمد بن الخطيب (ابن الجزري)، تح: مصطفى أحمد النماس، مطبعة السعادة ، 1983.
- لسانيات الخطاب و انساق الثقافة، عبد الفتاح أحمد يوسف، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2010.
- اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مؤمن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007.
- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء –المغرب- الطبعة 2، 2006.

- اللسانيات وتطبيقها على الخطاب الشعري، رابح بوخوش، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2006.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، الجزء الأول، ط2، 1973.
- المدارس اللسانية، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، أحمد عزوز، منشورات مخبر اللغة العربية والاتصال، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2005.
- مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني ، صابر الحباشة، دار صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2011.
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري جمال الدين، تح: ح. الفاخوري، الجزء الثاني، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991 .
- نحو النّص، إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنيد، عالم الكتب الحديث، ط1، 2009.
- النص والتأويل دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي، منقور عبد الجليل، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010.
- النص والسلطة والحقيقة وإرادة الهيمنة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط/4، 2000.

- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، حميدة مصطفى، الشركة المصرية العالمية للنشر-لوجمان- مصر، ط1، 1997.
- النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر- 1983.
- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2007 .
- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان- ، 1956 .
- في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، ط1، 2009.

ب ــ المـــــراجع المترجمـــــة:

- التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، آنروبول، جاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوش، محمد الشيباني، دار الطليعة للطبعة والنشر، بيروت- لبنان- ط1، 2003.
- التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر "Brinker"، تر: سعيد حسن بحيرى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2005
- السيميائية، مدرسة باريس، جان كلود كوكي، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003.

- علم اللغة والدراسات الأدبية، برند شبلنر "**Hiblnr, Bernd**"، ترجمة محمود جاد الرب، جامعة الملك سعود الرياض، دط.
- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون فان دايك "Van Dijk"، تر: سعيد حسن بحيرى، دار القاهرة – مصر– ط2، 2005.
- علم النص، جوليا كريستيفا "Julia Kristeva "، تر: فريد الزاهي، مراجعة عبد الخليل ناظم، دار توبقال للنشر– المغرب– ط1، 1997.
- فرديناند دي سوسير، أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، جوناثان كلر، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية الدقي، القاهرة، ط1، 2000.
- اللسانيات والرواية، روجز فاولر، تر: أحمد صبرة، مؤسسة حورس الدولية للنشر –الإسكندرية– 2009.
- المدخل إلى علم اللغة، كارلديتر بونتنج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، 2006.
- مدخل إلى علم النّص، مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزينياك "Zatsaslav And Aurzynak," ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1.
- النّص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند " **Robert De Bojerand** "، ترجمة تمام حسان، ط2، القاهرة، عالم الكتب، 2007.

- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان ديك، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000.

ج ــ القواميس والمعاجم:

- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر بيروت، لبنان، ط3، الجزء الأول، 1994.
- اللغة والدلالة، معجم في اللغة العربية ووظائفها وتقنياتها التعبيرية، مع مناهج تطبيقية وفق المنهجية الجديدة، يوسف مارون، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان، 2007.
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب لــ دومينيك مونقانو (D.Maingueneau)، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005.
- معجم إعراب مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010 .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ط2، 1984.
- معجم المصطلحات في علم العلامات، السميوطيقا، دانيال تشاندلر، تر: شاكر عبد الحميد، أكاديمية الفنون وحدة الإصدارات، دراسات نقدية، 2000.

د- الرسائل الجامعية:

- ظاهرة الحذف في الدراسات اللسانية الحديثة، محمد ملياني، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، (2006،2007).
- إشكالية المعنى في النص المترجم، دحمان نور الدين، رسالة ماجستير، المكتبة الجامعية، جامعة وهران، 2003.

هـ ـ المجـلات:

- مجلة المعرفة، 1997، العدد404، دمشق.
- التطور النظري للتحليل النصي، حاتم الصكر، المجلة العربية للثقافة، تونس، عدد32، 1997.

و ـ المراجـع الأجنبيـة:

- Dictionnaire Quillet De La Langue française, (Gz) Librairie Aristote .Quillet .Paris.2006
- Gilles Siouffi Et Dan Van Raemdonk : 100fiches Pour Comprendre La Linguistique, Breal, Rosny, 1999.
- Jean Dubois Et Autres : Dictionnaire De Linguistique Et Sciences Du Langue, La Rousse, 1994.
- Essai De Linguistique General. Jakobson; Les Editions De Minuit-Paris-1963. Discourse And Communication Discourse Studies
- Text And Context strategies Of Discourse Comprehension

- Adam(J.M) ; élément De Linguistique Textuelle (Théorie Et Pratiques De L'analyse Textuelle), Mardage, Liège.
- Cohesion in English, Halliday M.A.K And Ruquaya Hassan, Longman, London, 1976.

- ز- مواقع الانترنت:

- **http://maamri–ilm2010.yoo7.com**.
- **http://www.voiceofarabic.net**.

الفهـــرس

الـــفـــــــهـــرس

شكـــــر

الإهـــداء

مقدمـــة

مدخـــل: نحو الجملة و نحو النّص

قراءة في المفهـــــــوم 9

الفصل الأول: الإسهامات النّصية الغربية

المبحث الأول: تنظيم النّص عند هاليداي ورقية حسن

أولا: تحديد بعض المفاهيم 29

النّص 29

النّصية 31

الاتساق 31

ثانيا: مظاهر الاتساق 34

الإحالة 34

الاستبدال 40

الحذف 42

الوصل 45

الاتساق المعجمي 47

المبحث الثاني: معايير بناء النص عند دي بوغراند ودريسلار

النص في مقابل تحليل الجملة 50

النصية 54

معايير بناء النص..... 55
السبك..... 55
الالتحام..... 56
القصد..... 56
القبول..... 58
رعاية الموقف..... 58
التناص..... 59
الإعلامية – الاخبارية- 60
المبحث الثالث: قواعد تنظيم النّص عند فان دايك
أولا:مفهوم الترابط..... 60
شروط الترابط..... 62
ثانيا: أدوات الترابط..... 66
أدوات الرّبط في اللغة الطبيعية..... 66
تصنيف روابط اللغة الطبيعية..... 67
الوصل..... 67
الفصل..... 68
الخواص السيمانطيفية لحرف الفصل..... 70
الشرط والتشارط..... 71
التشارط الافتراضي..... 71
التشارط متعاند التحقق..... 74
التغيير بالتعارض (الاستدراك)..... 75
ثالثا: الاتساق الدلالي..... 76

معنى الاتساق 77
ترتيب الحدث والمتوالية 81
المعلومات الصريحة والضمنية في الخطاب 83
الوضع المسند إليه والمسند 86
الفصل الثاني: نحو النص عند عبد القاهر الجرجاني
المبحث الأول: قواعد التماسك النحوي 91
الوصل والفصل 93
العطف في المفرد 96
الجمل المعطوف بعضها على بعض 100
معاني العطف 101
عطف الجمل 106
الصفة والتأكيد 108
الإحالة 109
التقديم والتأخير 111
الرّبط بالتعريف 115
الرّبط بالموصول 116
الرّبط بالتكرير 118
المبحث الثاني: تجليات نحو النص
الاستدلال بالمعنى على المعنى 123
البعد التداولي ، خطاطة الأسرار والدلائل 126
الفصل الثالث: التطبيق على نماذج من كتاب دلائل الإعجاز
نماذج من كتاب دلائل الإعجاز 131

الخـــــــــــاتمة..... 173
المصادر والمراجع..... 178
فهرس الموضوعات..... 189